Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

الإيمان بما بعد الموت

[مسائل ودلائل]

تأليف

أحمد بن محمد بن الصادق النجار

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

حقوق الطبع محفوظة

الإيداع

ح أحمد بن محمد النجار،١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار.احمد

الإيمان بما بعد الموت (مسائل ودلائل) /أحمد النجار_ المدينة المنورة،

١٤٣٣هـ

ص ٢٤ سم

ردمك:٠-١١٧٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١-الموت ٢-الجنة والنار ٣-الحياة الآخرة .العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٣٣/٩٣٦٩

رقم الإيداع ١٤٣٣/٩٣٦٩

ردمك: ٠-١١٧٧-٠١-٦٠٣-٩٧٨

مكتبة دار النصيحة

بالمدينة النبوية

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

Edited by Foxit PDF Editor
Copyright (c) by Foxit Corporation, 2003 - 2010
For Evaluation Only.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله من حكمته أن جعل حياةً بعد الدنيا يحاسب فيها الخلائق علىٰ ما عملوه قبل الموت، وجعل هذه الحياة من الغيب الذي امتحن الله به عباده، وأمر العباد بالإيمان بها، ورتب علىٰ هذا الإيمان الأجور العظيمة: من الرزق الواسع، والأمن في البلدان، والدخول في رحمة الرحمن، وغير ذلك.

وقد اشتملت الرسالات كلها علىٰ الإيمان باليوم الآخر، وأخبرت الرسل بتفاصيل ما يقع في هذا اليوم، فهذه التفاصيل لا تُعلَم من جهة العقل، وإنما المرجع فيها إلىٰ نصوص الكتاب والسنة.

وأعظم الكتب بيانًا له: القرآن الكريم، فالله قد أكثر من ذكره في كتابه، يدعوهم بذلك إلىٰ خشيته وتقواه، والمسارعة إلىٰ امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهىٰ عنه ويكرهه ويأباه.

والصحابة ومن اتبعهم بإحسان لما عرفوا مقصود القرآن من ذكر اليوم الآخر خافوا من ذلك اليوم العظيم، فرقَّاهم ذلك الخوف إلىٰ المقامات العالية، والمنازل الرفيعة؛ لشدة اجتهادهم في الطاعات، والانكفاف عن المكروهات فضلًا عن المحرمات، فخوف الله سبحانه حجبهم زهرة الدنيا، وعوارض الشبهات[1].

ومع وضوحه في القرآن والسنة إلا أن طوائف من أهل الإسلام قد انحرفت في هذا الباب، فأنكروا كثيرًا من مسائله، وأخرجوها عن وجهها، فوقعوا في الإلحاد الذي ذَمَّ الله في القرآن أهله.

وسَلِمَ أهل السنة والجماعة من هذا الانحراف؛ لتمسكهم بنصوص الكتاب العزيز والسنة الصحيحة.

---

(١) انظر: «التخويف من النار»، ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٩٤).

وممن انحرف عن نهج الصحابة: الأشاعرة، فَضَلُّوا في هذا الباب كما قد ضلوا في مسائل الإيمان، والأسماء والصفات، والقدر، ونحوها من أبواب الاعتقاد.

لكن قد شاع عند بعض طلبة العلم أن الأشاعرة يوافقون أهل السنة في المسائل المتعلقة باليوم الآخر.

والأمر خلاف ذلك؛ فإنهم وإن كانوا يوافقون أهل السنة والجماعة في إثبات بعض جزئيات اليوم الآخر، إلا أن مأخذهم في هذا الباب غير مأخذ أئمة السلف.

وتوضيح ذلك: أن مسائل ما بعد الموت: الأشعري ومن وافقه يسمونها بـ(السمعيات)؛ لأنها لا تُعلَم عندهم إلا من جهة السمع وحده، فلا طريق للعقل في إثباتها.

وهذا ينقضه القرآن؛ فإن الله قد احتج بالأمور العقلية في إثبات ما يتعلق بما ورد في اليوم الأخر.

لكن الأشاعرة لم يقفوا فيما ادعوا أنه لا يُعلَم إلا بالسمع علىٰ السمع وحده، وإنما اشترطوا فيه شرطًا عقليًّا لم تأت به نصوص الكتاب والسنة، وهو ينقض عليهم هذا المصطلح -أعني: السمعيات- وهذا الشرط هو: (الإمكان العقلي).

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم: أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورد الروح إلىٰ الميت عند السؤال، ونصب الصراط، والميزان، والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين، كل ذلك حق وصدق، ويجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل»[١].

وقال أبو المعالي الجويني: «باب جمل من أحكام الآخرة المتعلقة بالسمع.

فمنها: إثبات عذاب القبر، ومساءلة منكر ونكير، والذي صار إليه أهل الحق إثبات ذلك؛ فإنه من مجوزات العقول، والله مقتدر علىٰ إحياء الميت، وأمر الملكين بسؤاله عن ربه ورسوله، وكل ما جوزه العقل، وشهدت له شواهد السمع لزم الحكم بقبوله»[٢].

وقال الرازي في سياق كلامه عن السمعيات: «والضابط في جميع هذه الأبواب أن كل ذلك ممكن، وقد ورد الخبر الصدق به، فوجب تصديقه»[٣].

ثم أي سمع يرجعون إليه، وهم لا خبرة لهم بالأحاديث؟!

---

(١) «الإنصاف» (ص٤٨).

(٢) «الإرشاد» (ص٣٧٥).

(٣) «الإشارة في علم الكلام» (ص٣٩٧).

قال الحافظ ابن حجر عند كلامه علي أبي المعالي الجويني: «كان قليل المراجعة لكتب الحديث المشهورة، فضلًا عن غيرها» (١).

وقال عن الجويني والغزالي: «وهذا دليل علىٰ عدم اعتنائهما معًا بالحديث» (٢).

ومما يدل أيضًا علىٰ أن الأشاعرة مخالفون لأهل السنة في هذا الباب ما ذكره الجويني عند رده علىٰ طوائف من المعتزلة الذين أنكروا وجود الجنة والنار الآن.

قال الجويني: «وقد أنكرت طوائف من المعتزلة خلق الجنة والنار، وزعموا أن لا فائدة في خلقها قبل يوم الثواب والعقاب... وما هذوا به من قولهم لا فائدة في خلق الجنة والنار في وقتنا ساقط لا محصول له؛ فإن أفعال الباري تعالىٰ لا تحمل علىٰ الأغراض علىٰ أصول أهل الحق»(٣).

فقد أرجع المسألة إلىٰ أصل فاسد يقول به الأشاعرة، وهو: إنكار التعليل في أفعال الله.

وأيضًا إنكارهم لمجيء الله لفصل القضاء.

---

(١) «التلخيص الحبير» (١/ ٦٢١).

(٢) «التلخيص الحبير» (٢/ ٤٨).

(٣) «الإرشاد» (ص٣٧٨).

قال الإيجي: «... الخامس: الاستدلال بالظواهر الموهمة بالتجسم من الآيات والأحاديث نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]»[1].

كما أن حقيقة قولهم إنكار رؤية الله في الآخرة.

فالأشاعرة ليسوا موافقين لأئمة السلف في هذا الباب.

وفي هذا البحث[2] استعرضتُ المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر مبينًا مذهب أئمة السلف فيها، المبني علىٰ الكتاب والسنة، والموافق للفطرة التي فطر الله عليها عباده، ومبينًا أيضًا مذاهب المتكلمين وغيرهم، المبني علىٰ مجرد عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وأذواقهم الباطلة.

وقد جاء الكلام عن الإيمان بما بعد الموت في خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنىٰ اليوم الآخر.

المبحث الثاني: منزلة الإيمان باليوم الآخر من الإيمان.

المبحث الثالث: كيفية الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) «المواقف» (٣/ ٣٦).

(٢) وقد سِرتُ فيه -في الغالب- علىٰ وفق مقررات قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

المبحث الرابع: الحياة البرزخية.

المبحث الخامس: الحياة الآخرة.

هذا، والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

كتبه

أحمد محمد النجار

٢٢جمادىٰ الأولىٰ ١٤٣٢هـ

في مدينة رسول الله ﷺ

abuasmaa12@gmail.com

المبحث الأول: معنى اليوم الآخر

اليوم الآخر هو: كل ما يكون بعد الموت مما أخبر به النبيﷺ.

فيدخل في اليوم الآخر: الحياة البرزخية، وفتنة القبر، وعذابه ونعيمه، والنفخ في الصور، والبعث، والحشر، والشفاعة، ونشر الصحف، والحساب، والوزن، والحوض، والصراط، والقنطرة، والجنة والنار.

قال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]: «أي: بالبعث، والقيامة، والجنة والنار، والحساب، والميزان»[(١)].

وقال ابن حجر: «والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار»[(٢)].

وسُمِّي باليوم الآخر: لأنه آخر يوم، لا يوم بعده سواه [(٣)].

وقد تنوعت أسماؤه في نصوص الكتاب والسنة، فسُمِّي بيوم القيامة،

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٢٤٦).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧١).

ويوم الدين، ويوم التناد، ويوم الخروج، ويوم التغابن، والواقعة، والحاقة، والقارعة، والطامة الكبرىٰ، والصاخة، ونحو ذلك.

وهذا التنوع والكثرة يدل علىٰ عِظَمِه وأهميته.

فَحَرِيٌّ بكل مسلم أن يعرف تفاصيل اليوم الآخر؛ حتىٰ يستعد لذلك اليوم، فيكثر من الأعمال الصالحة، ويبتعد عن كل ما يغضب الله.

وقد أخبر الله سبحانه أن نسيان ذلك اليوم يحمل العبد علىٰ معصية الله والكفر به.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١].

واليوم الآخر هو يوم واحد لا ليلَ فيه.

ولا يشكل علىٰ هذا: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢].

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ أي: في مثل وقت البُكُرات ووقت العَشيَّات، لا أن هناك ليلًا أو نهارًا، ولكنهم في أوقاتٍ تتعاقب، يعرفون مُضِيَّها بأضواء وأنوار»(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٢٤٧).

المبحث الثاني:
منزلة الإيمان باليوم الآخر من الإيمان

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، ومن لم يؤمن به فهو كافر لا يستحق بذلك اسم الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

فقد أخبر الله في هذه الآيات أن وصف الصدق والإيمان يكون لمن حقق الإيمان باليوم الآخر مع غيره من الأركان، وَرَتَّب سبحانه علىٰ عدم الإيمان باليوم الآخر وغيره من أركان الإيمان: الكفر، والضلال البعيد.

وقد أثنىٰ الله علىٰ الذين يُصَدِّقون باليوم الآخر ويؤمنون به؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المعارج:١٩-٢٦].

كما جعل الله من صفات أهل الكفر أنهم يكذبون باليوم الآخر، فقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر:٣٨-٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطففين:١٠-١١].

ووجوب الإيمان باليوم الآخر قد اتفقت عليه الشرائع كلها، فما من رسول إلا وهو يدعو إلىٰ الإيمان باليوم الآخر، ويشهد لهذا ما يأتي:

قال تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢].

وقال تعالىٰ عن شعيب: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٦].

وقال تعالىٰ لموسىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٥].

وقد احتج خزنة جهنم على الكفار أن رسلهم قد أنذرتهم اليوم الآخر؛ قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية:٣٤].

وهذه الآيات القرآنية وغيرها تبين اتفاق الرسل علىٰ إخبار أممهم باليوم الآخر، وأمرهم بالإيمان به.

قال ابن تيمية: «جميع الرسل أخبرت بيوم القيامة، خلاف ما تزعم طوائف من الفلاسفة وأهل الكلام: أن المعاد الجسماني لم يخبر به إلا محمد وعيسىٰ»[(١)].

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنه يجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به الله ورسوله ﷺ من تفاصيل يوم القيامة، وإن لم يُعلَمْ معناه؛ لأنَّه لا يُشتَرَطُ في الإيمانِ المجمَلِ: العلمُ بمعنىٰ كُلِّ ما أخبَرَ اللهُ به.

وليس هناك شيء في القرآن والسنة لا يعلم معناه.

---

(١) «الاستقامة» (١/ ١٧).

لكن لو قدر أن أحدًا جهل معنىٰ مسألة من تفاصيل اليوم الآخر فإنه يجب عليه أن يؤمن بها.

فأبواب الغيب يجب الإيمان بها وإن لم تدركها العقول، فليس ما لا يدركه العقل لا يجوز اعتقاده في الدين.

والشريعة -ولله الحمد- لم تجئ بما يعلم بالعقل بطلانه، وإنما تخبر بما يعجز عقل الناس عن فهمه وتصوره.

وعليه فيجب الإيمان بكل ما أخبر الله به من أمور الغيب من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال أبو القاسم التيمي: «نحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلىٰ أن أسندوه إلىٰ رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه؛ فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لا يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنَّا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته»[(١)].

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٤٧-٣٤٨).

المبحث الثالث:
كيفية الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر يكون مجملًا ومفصلًا:

أما المُجمَل: وهو القدر الذي لا يتم إيمان العبد باليوم الآخر إلا به.

وهو الإيمان بأن هناك يومًا آخر، يبعث الله فيه العباد؛ فيجازيهم فيه علىٰ أعمالهم.

وأما الإيمان المُفَصَّل: وهو القدر الذي يكون تبعًا للعلم التفصيلي الذي يبلغ المكلف من نصوص الكتاب والسنة.

وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به مما يكون بعد الموت، من البعث، والحساب، والميزان، والجنة والنار، إلىٰ غير ذلك مما أخبر الله به.

فالإيمان التفصيلي مبني علىٰ المعرفة التفصيلية بنصوص الوحيين الشريفين.

قال محمد بن نصر المروزي[1]: «تؤمن بالبعث بعد الموت،

---

(١) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، مولده: ببغداد، في سنة اثنتين =

والحساب والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة»[١].

فكل ما يبلغ المسلم من نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر فيجب عليه الإيمان به.

وأصلُ هذا: أن حكم الخطاب في حق المكلف لا يثبت إلا بعد بلوغ الحجة الرسالية؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥][٢].

ولهذا كان الناس متفاوتين في إيمانهم باليوم الآخر، والتفاوت سببه تفاوت العلم، فمن علم أكثر آمن أكثر، فيزيد إيمانه علىٰ غيره.

قال ابن رجب: «وتفسر زيادة المعرفة -أي: معرفة الله بالقلب- بمعنيين:

أحدهما: زيادة المعرفة بتفاصيل أسماء الله وصفاته، وأفعاله، وأسماء

=

ومائتين، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند. كان أبوه مروزيًّا، ولم يرفع لنا في نسبه. توفي سنة أربع وتسعين ومائتين.

ذكره الحاكم، فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. انظر: «سير أعلام النبلاء» ط الرسالة (١٤/ ٣٣).

(١) «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٣٩٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٤١-٤٢).

الملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة عليهم، وتفاصيل اليوم الآخر. وهذا ظاهر لا يقبل نزاعًا.

والثاني: زيادة المعرفة بالوحدانية بزيادة معرفة أدلتها، فإن أدلتها لا تحصر، إذ كل ذرة من الكون فيها دلالة علىٰ وجود الخالق ووحدانيته، فمن كثرت معرفته بهذه الأدلة زادت معرفته علىٰ من ليس كذلك.

وكذلك المعرفة بالنبوات، واليوم الآخر، والقدر، وغير ذلك من الغيب الذي يجب الإيمان به.

ومن هنا فرَّق النبيﷺ بين مقام الإيمان ومقام الإحسان، وجعل مقام الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، والمراد: أن ينور قلبه بنور الإيمان حتىٰ يصير الغيب عنده مشهودًا بقلبه كالعيان»[1].

والإيمان باليوم الآخر له أثر علىٰ اعتقاد العبد، وعلىٰ سلوكه؛ إذ إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

والأثر المترتب علىٰ إيمان العبد باليوم الآخر من جهة الاعتقاد: أن العبد إذا اعتقد وأقر باليوم الآخر، فإن هذا الاعتقاد يثمر الرغبة فيما عند الله من النعيم، والخوف من عقابه، ومن أهوال يوم القيامة.

وأما الأثر المترتب علىٰ إيمان العبد باليوم الآخر من جهة السلوك

---

(١) «فتح الباري» لابن رجب (١/ ٩-١٠).

والعمل: أن العبد إذا آمن باليوم الآخر فسيحرص علىٰ الأعمال التي تنجيه من عقاب الله، وسيسعىٰ في الأسباب المُوصِلَة للنجاة من أهوال يوم القيامة.

❍❍❍❍❍

المبحث الرابع:
الحياة البرزخية

البرزخ لغة: الحاجز بين الشيئين [١].

ومنه: قوله تعالىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠].

الحياة البرزخية شرعًا: هي الحياة التي بين الدنيا والآخرة.

ويدل عليه:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما بين الموت إلىٰ البعث» [٢].

وقال الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البرزخ : من يوم يموت إلىٰ يوم يبعث» [٣].

فمبتدأ حياة البرزخ: الموت.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٧٠).

(٢) «تفسير الطبري» (١٩/ ٧١).

(٣) «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٧٠).

ومنتهاها: البعث.

والموت هو: خروج الروح من الجسد(١).

وهو من خلق الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢].

وقد جعل الله الموت يوم القيامة علىٰ صورة كبش؛ فيُذبَح.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله: «**يؤتىٰ بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون.**

فيقول: هل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه.

ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح؛ ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» (٢).

وهذا فيه رد علىٰ من زعم من بعض المعتزلة والأشاعرة أن الموت هو عدم الحياة عما شأنه الحياة (٣).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧٣٠)، ومسلم (ح٢٨٤٩).

(٣) انظر: «المواقف» للإيجي (١/ ٥٠٥) (٢/ ٤٦)، و«تحفة المريد» للبيجوري.

والحياة البرزخية يندرج تحتها عدة مطالب:

المطلب الأول: فتنة القبر.

المطلب الثاني: نعيم القبر وعذابه.

المطلب الثالث: النفخ في الصور.

❍❍❍❍❍

المطلب الأول: فتنة القبر

الفتنة: يدور معناها في اللغة علىٰ الابتلاء والاختبار.

فالفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ علىٰ ابتلاء واختبار[١].

والمراد بفتنة القبر شرعًا: الامتحان والاختبار للميت.

فيقوم بسؤال الميت ملكان، يسألانه عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه.

قال ابن عبد البر: «فالفتنة هاهنا معناها: الابتلاء، والامتحان، والاختبار.

ومن ذلك: قول الله ﷻ لموسىٰ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠]؛ أي: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارًا»[٢].

وقد دل علىٰ ثبوت فتنة القبر، وسؤال الملكين: الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤ / ٤٧٢).

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٢٤٩).

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

قال البراء بن عازب ﷺ: «التثبيت في الحياة الدنيا إذا أتاه المَلكان في القبر فقالا له: مَن ربك؟ فقال: ربي الله.

فقالا له: ما دينك؟ قال: دينيَ الإسلام.

فقالا له: مَن نبيك؟ قال: نبيِّي محمدٌ ﷺ. فذلك التثبيت في الحياة الدنيا»(١).

فقد بين الصحابي الجليل أن التثبيت يكون عند سؤال الملكين في القبر، وفي هذا دلالة واضحة علىٰ ثبوت فتنة القبر.

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت** -أو قال: **أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟...**»(٢).

فقد عَلَّق النبي ﷺ وقوع فتنة القبر بوضع الميت في القبر، ففتنة القبر مشروطة بوضع الميت في قبره، وفي هذا دلالة علىٰ أن الميت يُفتن في قبره.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٣٧٥) (ح١٠٧١)، وقال: «حديث حسن غريب».

وعن البراء ﵁، عن النبي ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

قال: «**في القبر إذا قيل له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك**»(١).

فقد فسَّر النبيﷺ الآية بما يبين صراحة إثبات فتنة القبر.

وعن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: «أتيت عائشة زوج النبيﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي.

فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت: سبحان الله.

فقلت: آية؟ فأشارت: أي نعم، فقمت حتىٰ تجلاني الغشي، وجعلت أصب فوق رأسي ماء.

فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: **ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتىٰ الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل** -أو: **قريبًا من** - **فتنة الدجال** -لا أدري أي ذلك-.

قالت أسماء: **يؤتىٰ أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن** -أو: **الموقن**- لا أدري أي ذلك.

قالت أسماء: **فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ،**

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٩٥) (ح٣١٢٠) وقال: «حديث حسن صحيح».

فأجبنا وآمنا واتبعنا.

فيقال له: نَم صالحًا، فقد علمنا إن كنت لموقنًا.

وأما المنافق -أو: **المرتاب**- لا أدري أي ذلك؛ قالت أسماء: **فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[(١)].

قال ابن عبد البر عند شرح هذا الحديث: «وأما قوله: «**إنكم تفتنون في قبوركم**»؛ فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مُجمِعُون علىٰ الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئًا، ولا ينكره إلا أهل البدع»[(٢)].

فأحاديث فتنة القبر متواترة، وقد صرح بتواترها جماعة من العلماء، منهم:

- ابن عبد البر، وقد تقدم ذكر كلامه.

- ابن تيمية؛ فقد قال: «وقد تواترت الأحاديث عن النبي في هذه الفتنة»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٨) (ح١٨٤).

(٢) «الاستذكار» (٢/ ٤٢٣).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٥٧).

ثالثًا: الإجماع.

قال ابن أبي زَمَنِين(١): «وأهل السنة يؤمنون بأن هذه الأمة تُفتَن في قبورها»(٢).

وقال أبو الحسن الأشعري(٣): «وأجمعوا علىٰ أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يُحيَون فيها ويُسألون»(٤).

وقال أبو القاسم التيمي(٥): «فصل في مذهب أهل السنة ... ويؤمنون

---

(١) هو: محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد، المري الأندلسي الألبيري أبو عبد الله. تفنَّن واستبحر من العلم، وصنَّف في الزهد والرقائق. ولد: ٣٢٤هـ، وتوفي: ٣٩٩هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) «أصول السنة» (ص١٥٠).

(٣) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري أبو الحسن. قال خلف المعلم -وهو من فقهاء المالكية-: «أقامَ الأشعريُّ أربعين سنةً علىٰ الاعتزال، ثم أظهر التوبةَ، فرجَعَ عن الفروعِ وثبتَ في الأصول».
والأشعريُّ كان من تلامذةِ المعتزلة ثم تاب، فإنه كان من تلاميذ الجبائي، ومال إلىٰ طريقةِ ابن كلاب، وأخذ عن زكريا الساجي أصولَ الحديث بالبصرة، ثم لما قدِم بغدادَ أخذ عن حنبلية بغداد أمورًا أخرىٰ، وذلك آخرُ أمرِه كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم. ولد سنة ٢٦٠، وقيل: بل ولد سنة سبعين. توفي: ٣٢٤هـ.
انظر: «الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» للسجزي (ص٢٠٩-٢١٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٥- ٧٨).

(٤) «رسالة إلىٰ أهل الثغر» (ص٢٧٩).

(٥) هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، أبو القاسم.

بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره، وبسؤال القبر»[١].

* **أقوال أئمة السلف في إثبات فتنة القبر:**

قال الإمام أحمد: «والإيمان بعذاب القبر، إن هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتسأل عن النبيﷺ، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عَجَلَّ» [٢].

وقال ابن أبي عاصم: «وفي المساءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير، أخبار ثابتة توجب العلم.

فنرغب إلىٰ الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير، والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[٣].

وقال ابن منده[٤]: «ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر» [٥].

=

قال يحيىٰ بن منده: «كان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، قليل الكلام، ليس في وقته مثله». ولد:٤٥٧هـ، وتوفي:٥٣٥هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٧٧-١٢٨٢).

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٤).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٨٧).

(٣) «السنة» (١/ ٦٠٠).

(٤) هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ بن منده أبو عبد الله. الإمام، الحافظ، الجوال، محدث العصر. ولد: ٣١٠هـ، وتوفي: ٣٩٥هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٠٣١-١٠٣٦).

(٥) «كتاب الإيمان» (٢/ ٩٤١).

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم، ويُسألون»[١].

وقال البربهاري[٢]: «والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير»[٣].

وقال الآجري[٤]: «باب ذكر الإيمان والتصديق بمساءلة منكر ونكير»[٥].

ooooo

(١) «مقدمة ابن أبي زيد» (ص٦٠).

(٢) هو: الحسن بن علي البربهاري أبو محمد. كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول المتقنين، والثقات المأمونين. توفي: ٣٢٩هـ. انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (٣ / ٣٦-٨٠).

(٣) «شرح السنة» (ص٦٥).

(٤) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي أبو بكر. كان عالمًا، عاملًا، صاحب سنة واتباع توفي: ٣٦٠هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ٩٣٦).

(٥) «الشريعة» (٣/ ١٢٨٨).

وفتنة القبر صفتها: أن الميت إذا دُفِن، وعادت إليه روحه، أتاه ملكان، فيجلسانه، ويسألانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد.

وأما المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري.

أسأل الله أن يثبتنا عند سؤال الملكين.

ومن الناس من أنكر إقعاد الميت مطلقًا [1].

وشبهتهم عقلية: وهي أن الميت قد أحاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن معه القعود.

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الميت يجلس ويقعد بحسب ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

أشير هنا إلىٰ أن المعتزلة زعموا أنهم يثبتون سؤال الملكين علىٰ ما حكاه القاضي عبد الجبار المعتزلي، لكن حقيقة قولهم أنهم لا يثبتون الفتنة التي جاءت بها النصوص، فإنهم يرون أن العذاب يقع بين النفختين.

قال القاضي عبد الجبار: «ما قدمناه من الدلالة يدل علىٰ العذاب، ولابد له من مُعَذِّب، ثم إن المُعَذِّب يجوز أن يكون هو الله تعالىٰ، ويجوز أن

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٥٢٥).

يكون غيره، هذا في العقل، غير أن السمع ورد بأنه يكل ذلك إلىٰ ملكين: يسمىٰ أحدهما منكرًا والآخر نكيرًا»[١].

وقال: «وأما الوقت الذي يبت فيه التعذيب، وتعيين ذلك، فمما لا طريق إليه، ومن الجائز أن يكون بين النفختين»[٢].

❍❍❍❍❍

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٤).

(٢) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٢).

مسائل متعلقة بفتنة القبر

المسألة الأولى:
من يُستثنى من الفتنة؟

فتنة القبر عامة في المقبور وغير المقبور، فمن مات محروقًا، أو أكلته السباع فإنه يفتتن، وإنما عُلِّق بالمقبور؛ لكونه الغالب، فإن غالب الناس يقبرون.

وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة علىٰ خروج بعض الناس من عموم فتنة الميت في قبره.

وهذا يدل علىٰ عموم فتنة الناس في قبورهم؛ إذ الاستثناء معيار العموم.

والذين دلَّت عليهم الأدلة هم:

أولًا: المرابط.

عن سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرىٰ عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٠) (ح١٩١٣).

وعن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل ميت يختم علىٰ عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه يُنمَىٰ له عمَلُهُ إلىٰ يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر**»(١).

قال أبو عبد الله القرطبي: «مسألة الرباط: الملازمة في سبيل الله، مأخوذ من ربط الخيل، ثم سُمِّي كل ملازم لثغر مرابطًا ، فارسًا كان أو راجلًا»(٢).

ثانيًا: الشهيد.

جاء أن رجلًا قال: «يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: **كفىٰ ببارقة السيوف علىٰ رأسه فتنة**»(٣).

قال ابن القيم: «وَقَوله: «**كفي ببارقة السيوف علىٰ رَأسه فتْنَة**»؛ مَعْنَاهُ وَالله أعلم: قد امتحن نفَاقه من إيمَانه ببارقة السَّيْف علىٰ رَأسه فَلم يفر، فَلَو كَانَ منافقًا لما صَبر ببارقة السَّيْف علىٰ رَأسه، فَدلَّ علىٰ أَن إيمَانه هُوَ الذي حمله علىٰ بذل نَفسه لله وتسليمها لَهُ، وهاج من قلبه حمية الْغَضَب لله وَرَسُوله، وإظهار دينه، وإعزاز كَلمته.

فَهَذَا قد أظهر صدق مَا فِي ضَمِيره حَيْثُ برز للْقَتْل، فاستغنىٰ بذلك عَن

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ١٦٥) (ح١٦٢١) وقال: «حديث حسن صحيح».
(٢) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤١٨).
(٣) أخرجه النسائي في «سننه» (٤/ ٩٩) (ح٢٠٥٣) وصححه الألباني.

الامتحان فِي قَبره»[١].

ثالثًا: من مات ليلة الجمعة أو نهارها.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[٢].

وقد بوب عليه البيهقي بابًا قال فيه: «باب ما يرجىٰ في الموت ليلة الجمعة من البراءة من فتنة القبر»[٣].

هؤلاء هم الذين لا يُفتَنون في قبورهم كما وردت بذلك السنة الصحيحة.

وقد اختلف الناس في جماعة، هل يفتنون في قبورهم أو لا؟

وهؤلاء المختلف فيهم علىٰ النحو الآتي:

- النبي.

فيه قولان، وهما وجهان لمذهب أحمد وغيره[٤].

---

(١) «الروح» (ص٢٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٧٨) (ح١٠٧٤)، وقال: «هذا حديث غريب، وهذا حديث ليس إسناده بمتصل؛ ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِي، عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعًا من عبد الله بن عمرو» اهـ.
قال الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٥٠): «فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح».

(٣) «إثبات عذاب القبر» (ص١٠٣).

(٤) «الروح» (ص٢٢٣).

- **الصِّدِّيق.**

ذهب القرطبي إلىٰ أن الصدِّيق لا يفتن، وهو منقول عن الحنفية[١].

وحجته: أنه إذا كان الشهيد لا يفتن، فالصدِّيق أولىٰ؛ لتقدمه علىٰ الشهيد رفعة ومنزلة وأجرًا.

وتعقبه ابن القيم؛ فقال: «والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبيِّن أن الصدِّيق يُسأل في قبره، كما يُسأل غيره »[٢].

وما رجحه ابن القيم جزم به غير واحد من الشافعية[٣].

وهو الراجح؛ لعموم قول النبيﷺ: «**إذا قبر الميت** -أو قال: **أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير ...**»[٤].

فالنبيﷺ لم يستثن فيه أحدًا، فـ(أل) في الميت للاستغراق، فيدخل في ذلك كل ميت، ولم يأت دليل علىٰ تخصيص الصدِّيق.

- **غير المكلف.**

اختلفوا في غير المكلف كالصبي والمجنون هل يفتن أو لا؟

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٩).

(٢) «الروح» (ص ٢٢٣).

(٣) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في عذاب القبر (٣/ ٣٧٥) (ح١٠٧١)، وقال: «حديث حسن غريب».

علىٰ قولين:

القول الأول: أنه لا يُسأل في قبره، وهو قول القاضي، وابن عقيل [١].

وحجتهم: أن المحنة إنما تكون للمكلفين.

وقالوا: السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول، فيسأل هل آمن به أو لا؟ ومن لا تمييز له، كيف يقال له: من نبيك[٢]؟

القول الثاني: يُسألون في قبورهم، وهو قول أكثر أهل السنة[٣].

وحجتهم: أنه تشرع الصلاة عليهم، والدعاء لهم.

وقالوا: إن الله يلهمهم الجواب عما يُسألون عنه.

وقالوا: دلَّت الأحاديث أنهم يُمتحنون في الآخرة، فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور[٤].

واعترض عليه: أن في الآخرة يمتحنهم بأمر يأمرهم به، يفعلونه ذلك الوقت، لا أنه سؤال عن أمر مضىٰ لهم في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «الروح» (ص٢٣٨).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٠).

(٤) انظر: «الروح» (ص ٢٣٨).

(٥) انظر: «الروح» (ص٢٣٨).

والصحيح: أنهم يُسألون ويُفتنون؛ لدخولهم في عموم الأحاديث الدالة علىٰ أن كل ميت يفتن في قبره، ولما ثبت أيضًا بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فعن سعيد بن المسيب، قال: سمعنا أبا هريرة يقول علىٰ المنفوس الذي لم يعمل ذنبًا قط، فيقول: «اللهم قه عذاب القبر»(١).

وعن ابن المسيب قال: صليت وراء أبي هريرة علىٰ صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: «اللهم أعذه من عذاب القبر»(٢).

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (٢/ ٥٩٦).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ»، باب ما يقول المصلي علىٰ الجنازة (١/ ٤٠١) عن يحيىٰ بن سعيد قال: سمعت سعيد به.

المسألة الثانية:
هل الكافر يفتتن في قبره؟

قد دلت الأدلة أن كل ميت يفتن في قبره، فهل هذا الخطاب خاص بكل مؤمن، أو يدخل فيه الكافر.

اختلفوا في هذه المسألة علىٰ قولين:

القول الأول: لا يفتن في قبره.

ذهب إليه عُبيد بن عُمَير -من كبار التابعين- وابن عبد البر.

قال عبيد: «يفتن رجلان: مؤمن ومنافق، فأما المؤمن فيفتن سبعًا، وأما المنافق فيفتن أربعين صباحًا»(١).

وقال ابن عبد البر: «الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تدل علىٰ أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان في الدنيا منسوبًا إلىٰ أهل القبلة ودين الإسلام ممن حُقِن دمه بظاهر الشهادة.

---

(١) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٢/ ٢٥١).

وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام»(١).

واعترض عليه: أن الكافر أولىٰ بالسؤال من غيره.

وقد أخبر الله أن الكافر يسأل يوم القيامة.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فإذا سُئلوا يوم القيامة فكيف لا يُسألون في قبورهم(٢)؟

القول الثاني: يفتن في قبره.

اختاره أبو عبد الله القرطبي(٣)، وابن القيم(٤)، وابن حجر(٥).

واحتجوا: بعموم الأدلة الدالة علىٰ فتنة الميت في قبره.

والراجح: أن الكافر يفتن في قبره؛ لعدة وجوه، منها:

الوجه الأول: عموم الأدلة الدالة علىٰ أن الميت يفتن، ولم تفرق بين ميت وميت.

---

(١) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: «الروح» (ص٢٣٣).

(٣) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤١٥).

(٤) «الروح» (ص٢٢٨).

(٥) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٨).

الوجه الثاني: ما جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ، أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولىٰ عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل -لمحمد ﷺ-؟**

فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله.

فيقال له: انظر إلىٰ مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا.

قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟

فيقول: لا أدري! كنت أقول ما يقول الناس.

فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[1].

فهو صريح في أن الكافر يسأل في قبره.

قال ابن حجر: «(**وأما المنافق والكافر**) كذا في هذه الطريق بـ: واو العطف، وتقدم في باب خفق النعال بها: «**وأما الكافر أو المنافق**» بالشك.

وفي رواية أبي داود: «**وأن الكافر إذا وضع**»؛ وكذا لابن حبان من حديث أبي هريرة، وكذا في حديث البراء الطويل.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٩٨) (ح١٣٧٤).

وفي حديث أبي سعيد عند أحمد: «**وإن كان كافرًا أو منافقًا**» بالشك.

وله في حديث أسماء: «**فإن كان فاجرًا أو كافرًا**».

وفي الصحيحين من حديثها: «**وأما المنافق أو المرتاب**».

وفي حديث جابر عند عبد الرزاق، وحديث أبي هريرة عند الترمذي: «**وأما المنافق**»، وفي حديث عائشة عند أحمد، وأبي هريرة عند ابن ماجه: «**وأما الرجل السوء**».

وللطبراني من حديث أبي هريرة: «**وإن كان من أهل الشك**».

فاختلفت هذه الروايات لفظًا، وهي مجتمعة علىٰ أن كلًّا من الكافر والمنافق يُسأل، ففيه تعقب علىٰ من زعم أن السؤال إنما يقع علىٰ من يدعي الإيمان إن محقًّا وإن مبطلًا، ومستندهم في ذلك: ما رواه عبد الرزاق، من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين قال: «إنما يفتن رجلان: مؤمن ومنافق، وأما الكافر فلا يُسأل عن محمد ولا يعرفه».

وهذا موقوف، والأحاديث النَّاصَّة علىٰ أن الكافر يُسأل مرفوعة، مع كثرة طرقها الصحيحة، فهي أولىٰ بالقبول»(١).

فاتضح مما سبق: أن القول الصحيح أن الكافر يفتن في قبره، وهو أولىٰ من المؤمن، وإذا صح أن يسأل يوم القيامة فلا مانع من سؤاله في القبر.

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٨).

المسألة الثالثة: هل فتنة القبر خاصة بهذه الأمة أو هي عامة في الأمم كلها؟

فقد جاء الخطاب في بعض أحاديث فتنة القبر مُوجَّهًا لهذه الأمة، فهل هذا يدل علىٰ خصوصية هذه الأمة بفتنة القبر أو هو عام في كل أمة؟

اختلفوا في هذه المسألة علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: سؤال الميت خاص بهذه الأمة.

ذهب إليه أبو عبد الله الحكيم الترمذي(١).

واحتج: بما جاء عن زيد بن ثابت، عن النبيﷺ أنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها**»(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: «أتيت عائشة زوج النبيﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تصلي.

---

(١) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٣/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٩) (ح٢٨٦٧).

فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت: سبحان الله.

فقلت: آية؟ فأشارت: أي نعم، فقمت حتىٰ تجلاني الغشي، وجعلت أصب فوق رأسي ماء.

فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: **ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتىٰ الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل** -أو: **قريبًا من** - **فتنة الدجال** -لا أدري أي ذلك-.

قالت أسماء: **يؤتىٰ أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن** -أو: **الموقن**- لا أدري أي ذلك.

قالت أسماء: **فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبنا وآمنا واتبعنا.**

فيقال له: نم صالحًا، فقد علمنا إن كنت لموقنًا.

وأما المنافق -أو: **المرتاب**- لا أدري أي ذلك؛ **قالت أسماء: فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[1].

فهذه الأحاديث ظاهرة في اختصاص هذه الأمة بالسؤال من وجهين:

الأول: مخاطبته لهذه الأمة.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٨) (ح١٨٤).

الثاني: قول الملكين: ما علمك بهذا الرجل، فسؤالهم عن نبينا محمد ﷺ.

واعترض عليه: أنه لا يدل علىٰ اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم؛ فإن قوله: «**إن هذه الأمة**»؛ إما أن يراد به أمة الناس؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨].

وإما أن يراد به أمته الذي بعث فيهم، فإذا أراد ذلك، لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخبارًا بأنهم مسئولون في قبورهم، وأن ذلك لا يختص بمن قبلهم؛ لفضل هذه الأمة وشرفها علىٰ سائر الأمم(١).

القول الثاني: سؤال الميت عام لهذه الأمة ولغيرها.

ذهب إليه عبد الحق الإشبيلي(٢)، والقرطبي، وابن القيم.

قال ابن القيم جوابًا علىٰ احتجاجات القول الأول: «وكذلك إخباره عن قول الملكين: «ما هذا الرجل الذي بعث فيكم» هو إخبار لأمته بما تُمتَحن به في قبورها.

---

(١) انظر: «الروح» (ص٢٣٥).

(٢) «الروح» (ص٢٣٤).

والظاهر -والله أعلم- أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم، كما يُعذَّبون في الآخرة بعد السؤال، وإقامة الحجة، والله ﷻ أعلم»[١].

القول الثالث: التوقف. ذهب إليه ابن عبد البر.

قال ابن عبد البر عند كلامه عن حديث: «إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها»: «وهذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خُصَّت بذلك وهو أمر لا يقطع عليه»[٢].

والذي يظهر لي: هو عدم القطع بفتنة غير هذه الأمة؛ لأن هذه من الأمور الغيبية، فلا تؤخذ إلا من جهة الخبر، ولا دليل علىٰ عموم السؤال في القبر لكل الأمم، والواجب السكوت عما سكت الله عنه ورسولهﷺ.

فالواجب إذن السكوت عما لم يرد فيه نص عن الله ورسولهﷺ، وَتَرْكُ التعرضِ له بنفيٍ أو إثباتٍ، فكما لا يُثبَتُ إلا بنصٍّ شرعيٍّ، كذلك لا يُنفَىٰ إلا بدليلٍ سمعيٍّ.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

---

(١) «الروح» (ص٢٣٦).

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥٣).

فقد دلت هذه الآية الكريمة علىٰ أن ما لا يُعلَمُ نَفيُهُ ولا إثبَاتُهُ وجب السكوت عنه، فإن الله حرمَ القَفْوَ بلا عِلمٍ سَوَاء كان ذلك في الإثباتِ أو النَّفْيِ.

قال قتادة عند تفسيره لهذه الآية: «لا تَقُلْ رَأيْتَ ولم تَرَ، وسمعْتَ ولم تَسمَعْ، وعلمتَ ولم تَعلَم، فإنَّ اللهَ سَائِلُكَ عن ذلك كلِّه»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

وجه الدلالة: أن الآية فيها تقريع وتوبيخ لمن تجاوز الكتاب والسنة في علم ما لم يعلم، ولم يسكت عما سكت الله عنه ورسولهﷺ.

ooooo

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٧٥).

المسألة الرابعة:
عودة الروح إلى البدن وقت السؤال

الروح: مخلوقة باتفاق السلف، وهي عين قائمة بنفسها، تفارق البدن.

فعند موت الإنسان تفارق الروحُ الجسدَ، ولا تفنىٰ الروح، فإذا فارقت الروح البدن تلقتها إما ملائكة الرحمة، وإما ملائكة العذاب، فيصعدون بها.

ثم تعود الروح إلىٰ البدن حال سؤال الملكين، وعودتها إلىٰ البدن غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

ويشهد لهذا: ما جاء عن البراء بن عازب، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن علىٰ رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: **استعيذوا بالله من عذاب القبر** -مرتين، أو ثلاثًا-.

ثم قال: **إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مد**

البصر، ثم يجيء ملك الموت ﵇، حتىٰ يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان.

قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت علىٰ وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، علىٰ ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟

فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ ينتهي به إلىٰ السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ.

قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله...». الحديث[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٠/ ٥٧٩) (ح١٨٦١٥)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢٠٢).

قال ابن القيم في «الروح» (ص ١٣٤): «وذهب إلىٰ القول بموجب هذا الحديث جميع

والشاهد منه قوله: «**فتعاد روحه في جسده**»؛ وهذا يدل علىٰ إعادتها للبدن، وتعلقها به، والروح لها تعلق بالبدن وإن تمزَّق وبلِي.

قال ابن القيم: «الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلىٰ وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقىٰ لها التفات إليه ألبتة، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل علىٰ ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن،

=

أهل السنة والحديث من سائر الطوائف».

وقال (ص١٤٦): «هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلًا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه...».

ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه؛ إذ تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا»[١].

وبهذا يُعلَم ضلال وبطلان قول من قال: إن الأرواح تنتقل بعد فراقها البدن إلىٰ أبدان أخرىٰ، وهم التناسخية الذين يقولون بالتناسخ.

قال أبو العباس القرطبي: «لا يلتفت لقول التناسخية القائلين بأن الأرواح تنتقل إلىٰ أجساد أخر، فأهل السعادة ينقلون إلىٰ أجساد حسنة مشرقة مرفهة، فتتنعم بها، وأهل الشقاوة تنقل أرواحهم إلىٰ أجساد خسيسة قبيحة، فتعذب فيها، حتىٰ إذا استوفت أمد عقابها، رجعت إلىٰ أحسن بنية، وهكذا أبدًا.

وهذا معنىٰ الإعادة والثواب والعقاب عندهم، وهو مناقض لما جاءت به الشريعة، ولما أجمعت الأمة عليه، ومُعتقِده يكفر قطعًا»[٢].

وقد أنكر عودة الروح إلىٰ الجسد: ابن حزم.

قال ابن حزم: «فصح بنص القرآن أن روح من مات لا يرجع إلىٰ جسده إلا إلىٰ أجل مسمىٰ وهو يوم القيامة»[٣].

---

(١) «الروح» (ص١٣٧).

(٢) «المفهم» (٣/ ٧١٨).

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٦).

واحتج: بقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١].

قال: لو كان الميت يحيا في قبره لكان الله قد أماتنا ثلاثًا وأحيانا ثلاثًا(١).

واعترض عليه: أن الآية نفت الحياة المستقرة، المعهودة في الدنيا، التي يحتاج معها إلىٰ مقوماتها من طعام وشراب وغير ذلك.

أما ثبوت الإعادة العارضة للمساءلة فهذا لم تنفه الآية؛ ويشهد لهذا ما حصل في قصة موسىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

فهذه الحياة العارضة ليس معتدًّا بها.

وعودة الروح إلىٰ الجسد في البرزخ لا تدل علىٰ حياة مستقرة(٢).

قال ابن كثير في معنىٰ الآية: «وقوله: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود: هذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]. وكذا قال ابن عباس،

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٦).
(٢) انظر: «الروح» (ص١٣٧).

والضحاك، وقتادة، وأبو مالك.

وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية»[١].

واحتج ابن حزم أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

قال: نفىٰ السمع عن الأجساد التي في القبور، وأثبت السمع لأرواح أهل بدر[٢].

واعترض عليه: أن سياق الآية يدل علىٰ أن المراد منها أن الكافر ميت القلب لا تقدر علىٰ إسماعه إسماعًا ينتفع به، كما أن من في القبور لا يقدر علىٰ إسماعهم إسماعًا ينتفعون به، ولم يُرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا، كيف وقد أخبر النبي أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين[٣].

قال قتادة في معنىٰ الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢]: «كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع»[٤].

واحتج أيضًا: أن النبي ﷺ أخبر أنه رأىٰ الأرواح ليلة أسري به عند

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١٣٣).
(٢) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٦).
(٣) انظر: «الروح» (ص١٤١).
(٤) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٩).

سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام أرواح أهل السعادة، وعن شماله أرواح أهل الشقاء، ورأىٰ موسىٰ قائمًا يصلي[(١)].

واعترض عليه: أن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، فليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن، فالروح تكون في السماء ويكون لها اتصال بالبدن وتعلق به[(٢)].

ومما احتج به: تضعيفه لزيادة عودة الروح إلىٰ الجسد في حديث البراء المتقدم، وقال: وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوي؛ تركه شعبة وغيره[(٣)].

قال ابن القيم في رده هذه الشبهة: «فهذا من مجازفاته -رحمه الله تعالىٰ-، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء غير زاذان، منهم عدي بن ثابت، ومحمد بن عقبة، ومجاهد»[(٤)].

والحق الذي لا مرية فيه: أن الروح تعود إلىٰ الجسد وقت السؤال؛ لدلالة حديث البراء علىٰ ذلك، وفيه: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما**

(١) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٦).
(٢) انظر: «الروح» (ص١٤٠).
(٣) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٧).
(٤) «الروح» (ص١٤٢).

دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ...».

ولما ثبت عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتُولِّي وذهب أصحابه حتىٰ إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه ...**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل علىٰ عود الروح إلىٰ البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس، وأنكره الجمهور.

وقابلهم آخرون فقالوا: السؤال للروح بلا بدن، وهذا قاله ابن مرة، وابن حزم.

وكلاهما غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك علىٰ الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص»[(٢)].

وبهذا يظهر ويتبين بطلان من أنكر عودة الروح إلىٰ الجسد.

*** وهاهنا مسألة يجدر بي أن أذكرها، وهي: أن الأرواح متفاوتة في البرزخ من جهة استقرارها.**

وهذه المسألة من المسائل التي لا يتجاوز فيها الكتاب والسنة؛ لأنها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٠) (ح١٣٣٨).

(٢) «الروح» (ص١٥١).

من الأمور الغيبية.

وقد دلت الأدلة علىٰ أن أرواح المؤمنين تعلق بشجر الجنة تأكل من ثمارها، وتسرح بين أشجارها.

فعن كعب بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة، حتىٰ يبعثه الله ﷻ إلىٰ جسده يوم القيامة**»(١).

وأما الشهداء فأرواحهم في أجواف طير خضر(٢).

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش.**

فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم.

قال: **فأنزل الله**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]». إلىٰ آخر الآية(٣).

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ١٠٨) (ح٢٠٧٣) وصححه الألباني.

(٢) والحكمة من ذلك -والله أعلم- أنهم لما بذلوا أنفسهم لله في الدنيا أبدلهم الله أبدانًا خيرًا من أبدانهم، بها ينعمون ويسرحون. انظر: «الروح» لابن القيم (ص٢٦١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٣٢٢) (ح٢٥٢٢).

وعن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل**»(١).

ومن الأرواح ما تكون محبوسة علىٰ باب الجنة، فعن سمرة بن جندب قال: «صلىٰ النبيﷺ الصبح، فقال: **هاهنا أحد من بني فلان؟**

قالوا: نعم.

قال: **إن صاحبكم محتبس علىٰ باب الجنة في دين عليه**»(٢).

وأما أرواح الكفار فهي في سِجِّين.

ثمة سؤال: هل هناك فرق بين الروح والنفس؟

والجواب: أن الروح التي تفارق البدن بالموت هي النفس التي تفارقه بالموت.

والدليل: ما جاء في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة: أن رسول اللهﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتىٰ إذا أدركه الكرىٰ عرس وقال لبلال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٢) (ح١٨٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١١) (ح٢٠١٣٦).

«اكلأ لنا الليل.

فصلىٰ بلال ما قُدِّر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فلما تقارب الفجر استند بلال إلىٰ راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالًا عيناه وهو مستند إلىٰ راحلته؛ فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتىٰ ضربتهم الشمس؛ فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظًا؛ ففزع رسول الله ﷺ فقال: **أي بلال.**

فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ -بأبي أنت وأمي يا رسول الله- بنفسك...»[(١)]. الحديث.

وأيضًا ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

إذا تبين هذا فالنفس -وهي الروح- قائمة بنفسها، وليست هي من باب الأعراض التي تكون قائمة بغيرها[(٢)].

وأما مسكنها من الجسد فهذا أمر غيبي لم تأت النصوص -فيما أعلم- ببيانه، فالواجب السكوت عنه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٦٨٠).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٣٠١).

المطلب الثاني: نعيم القبر وعذابه

المراد بنعيم القبر وعذابه: ما يحصل في الحياة البرزخية من النعيم والعذاب.

ونعيم القبر وعذابه عامٌّ في المقبور وغير المقبور، فمن مات محروقًا، أو أكلته السباع فإنه يُنعم أو يُعذَّب، وإنما عُلِّق بالمقبور؛ لكونه الغالب، فإن غالب الناس يقبرون.

قال ابن حجر في بيان سبب إضافة العذاب إلىٰ القبر: «وإنما أضيف العذاب إلىٰ القبر؛ لكون معظمه يقع فيه؛ ولكون الغالب علىٰ الموتىٰ أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله»[1].

ومما يشهد لهذا المعنىٰ وهو: أن الجسد إذا حُرِّق وصار رمادًا يقع عليه العذاب أو النعيم؛ ما جاء عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**كان رجُلٌ يُسرِفُ علىٰ نفسِهِ فلمَّا حَضَرَهُ الموتُ قال لبنيه: إذا أنا مِتُّ فأحرقُوني، ثم**

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

اطحَنُوني، ثم ذرُّونِي في الريحِ، فواللهِ لئن قَدرَ الله علي ربي ليعذبني عذابًا ما عَذَّبَهُ أحدًا.

فلما مات فُعِلَ به ذلك، فَأَمَرَ اللهُ الأرضَ فقال: اجمعي ما فيك منه، ففَعَلَتْ؛ فإذا هو قائمٌ فقال: ما حملك علىٰ ما صنعتَ؟

قال: يا ربِّ خَشيَتكَ فَغَفَرَ له»(١).

وقد دل علىٰ وقوع نعيم القبر وعذابه، ووجوب الإيمان به: الكتاب والسنة والإجماع.

وهذه النصوص قد نص الأئمة علىٰ تواترها وكثرتها.

قال ابن عبد البر: «والآثار في عذاب القبر لا يحوط بها كتاب»(٢).

وقال ابن تيمية: «فأما أحاديث عذاب القبر، ومسألة منكر ونكير، فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ»(٣).

ومن هذه الأدلة:

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (ص٥٨٧) (ح٣٤٨١)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله، وأنها تغلب غضبه (ص١١٩٤) (ح٦٩٨١).

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٥).

﴿وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

فقد أخبر الله في هذه الآية أن آل فرعون يعرضون علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا قبل قيام الساعة، وهذا يعني أن عرضهم علىٰ النار يكون في البرزخ، ثم بعد قيام الساعة يحصل لهم العذاب الشديد.

ثم إن وصف العذاب بأنه (أشد) دل علىٰ أنه مغاير لما قبله، وهو إنما يكون أشد يوم القيامة.

وفي قوله: «غدوًّا وعشيًّا»؛ استغراق للزمان.

وعن الهذيل بن شرحبيل في تفسير الآية، قال: «أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، تغدو وتروح علىٰ النار، وذلك عرضها»[(١)].

وقال السديُّ: «بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود، تعرض علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا،حتىٰ تقوم الساعة»[(٢)].

وقال ابن قتيبة: «فهم يعرضون بعد مماتهم علىٰ النار، غدوًّا وعشيًّا، قبل يوم القيامة، ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب»[(٣)].

فالمراد بعرضها: أن أرواحهم تُعرَض علىٰ النار فيشاهدون منازلهم فيها، وهذا من العذاب.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٩٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٩٦).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص٢٢٧).

وقال أبو عبد الله القرطبي: «مجاهد، وعكرمة، ومقاتل، ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل علىٰ عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾»(١).

وقال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

وفي هذه الآية دليل علىٰ عذاب القبر من وجهين:

الوجه الأول: أن الملائكة باسطو أيديهم، أي: ممدودة بالعذاب، والضرب، فيضربون وجوههم وأدبارهم.

قال ابن عباس: «هذا عند الموت (والبسط): الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم»(٣).

وعن الضحاك: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «بالعذاب»(٤).

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣١٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ١٤٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣٧).

(٤) «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣٩).

وقال الطبري: «والملائكة باسطو أيديهم، يضربون وجوههم وأدبارهم، كما قال -جل ثناؤه-: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٧]»[١].

الوجه الثاني: قول الملائكة للكفرة عند قبض أرواحهم بأنهم اليوم سيجزون عذاب الهون، وهذا في الحياة البرزخية.

قال ابن عطية: «هذه حكاية عن قول الملائكة للكفرة عند قبض أرواحهم»[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

وقد فسَّر هذه الآية النبيﷺ: فقد جاء عن أبي هريرة، عن رسول اللهﷺ أنه قال: «**أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة؟**

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: **عذاب الكافر في قبره**»[٣].

---

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣٧).

(٢) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٣٢٣).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٩٣)، قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٢٤): «إسناد جيد»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢١٧).

وقال أبو صالح والسديُّ، في قوله ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: «عذاب القبر»[(١)].

قال الطبري: «وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر»[(٢)].

وقد أسند الطبري هذا القول إلىٰ ثلاثة من الصحابة: أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن مسعود رضي الله عنهم[(٣)].

وبوب البيهقي بابًا علىٰ هذه الآية قال فيه: «باب ما يكون علىٰ من أعرض عن ذكر الله تعالىٰ من العذاب في القبر قبل عذاب يوم القيامة»[(٤)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١].

قال قتادة في قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: «عذاب في القبر، وعذاب في النار»[(٥)].

وقال البيهقي: «باب ما يكون علىٰ المنافقين من العذاب في القبر قبل

---

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٩٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٩١).

(٣) «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٩٣).

(٤) «إثبات عذاب القبر» (ص٥٩).

(٥) «إثبات عذاب القبر» (ص٥٦).

العذاب في النار قال الله -جل ثناؤه-: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور:٤٧].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].

فقد أخبر الله تعالىٰ أن الذين قُتلوا في سبيل الله ينعمون، وهذا دليل علىٰ النعيم في القبر.

ثانيًا: الأدلة من السنة.

الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر النبي ﷺ علىٰ قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير، ثم قال: بلىٰ، أما أحدهما فكان يسعىٰ بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»(٣).

---

(١) «إثبات عذاب القبر» (ص٥٦).

(٢) «إثبات عذاب القبر» (ص٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٩) (ح١٣٧٨).

وقد بوَّب عليه أبو بكر بن أبي شيبة بقوله: «في عذاب القبر، وممّ هو؟»[١].

وقال البخاري: «باب عذاب القبر من الغيبة والبول».

وقال ابن حبان: «ذكر الخبر الدال علىٰ أن عذاب القبر قد يكون أيضًا من النميمة»[٢].

وقال الآجري: «باب التصديق والإيمان بعذاب القبر»[٣].

وقال النووي: «ففيه إثبات عذاب القبر، وهو مذهب أهل الحق، خلافًا للمعتزلة»[٤].

الثاني: عن عائشة رضي الله عنها: «أن يهودية دَخَلَت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذاب القبر**.

قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلىٰ صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[٥].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٠).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٧/ ٣٩٨).

(٣) «الشريعة» (٣/ ١٢٧٢).

(٤) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (٣/ ٢٠٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٨) (ح١٣٧٢).

الثالث: عن عائشة، زوج النبي ﷺ: «أن يهودية جاءت تسألها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: أيعذب الناس في قبورهم؟

فقال رسول الله ﷺ: **عائذًا بالله من ذلك،** ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركبًا، فخسفت الشمس، فرجع ضحىٰ، فمر رسول الله ﷺ بين ظهراني الحجر، ثم قام يصلي وقام الناس وراءه، فقام قيامًا طويلًا، ثم ركع ركوعًا طويلًا، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد، ثم قام فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد وانصرف، فقال ما شاء الله أن يقول، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر»(١).

فهذان الحديثان فيهما دلالة واضحة علىٰ إثبات عذاب القبر، لكن علم النبي ﷺ بحكم عذاب القبر كان بالمدينة.

قال ابن حجر: «وفي هذا كله أنه ﷺ إنما علم بحكم عذاب القبر إذ هو بالمدينة، في آخر الأمر، كما تقدم تاريخ صلاة الكسوف في موضعه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٣٦) (ح١٠٤٩).

وقد استشكل ذلك بأن الآية المتقدمة مكية وهي قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وكذلك الآية الأخرىٰ المتقدمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾.

والجواب: أن عذاب القبر إنما يؤخذ من الأولىٰ بطريق المفهوم في حق من لم يتصف بالإيمان.

وكذلك بالمنطوق في الأخرىٰ في حق آل فرعون، وإن التحق بهم من كان له حكمهم من الكفار.

فالذي أنكره النبي ﷺ إنما هو وقوع عذاب القبر علىٰ الموحدين، ثم أعلم ﷺ أن ذلك قد يقع علىٰ من يشاء الله منهم، فجزم به، وحذر منه، وبالغ في الاستعاذة منه؛ تعليما لأمته؛ وإرشادًا.

فانتفىٰ التعارض -بحمد الله تعالىٰ-، وفيه دلالة علىٰ أن عذاب القبر ليس بخاص بهذه الأمة»[1].

الرابع: عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها، فلولا ألَّا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.**

ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: **تعوذوا بالله من عذاب النار.**

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٣٦).

قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار.

فقال: **تعوذوا بالله من عذاب القبر.**

قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر»(١).

الخامس: عن مسروق، قال: «سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: **أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة.**

فقال: هل تشتهون شيئًا؟

قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا»(٢).

قال النووي: «وهذا الحديث مرفوع؛ لقوله: «إنا قد سألنا عن ذلك»؛ فقال: يعني النبي ﷺ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٩) (ح٢٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٢) (ح١٨٨٧).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٣/ ٣١).

وقال: «وفيه إثبات مجازاة الأموات بالثواب والعقاب قبل القيامة»(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا مما يضيق المقام عن استقصائها، ولعل فيما ذكرت ما يشفي ويكفي.

ثالثا: الإجماع.

قال ابن أبي زَمَنين: «وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر -أعاذنا الله وإياك من ذلك-»(٢).

وقال ابن تيمية: «مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرىٰ، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ -ما بين الموت إلىٰ يوم القيامة- هذا قول السلف قاطبة، وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع»(٣).

وقال ابن القيم في عذاب القبر: «متفق عليه بين أهل السنة»(٤).

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٣/ ٣١).

(٢) «أصول السنة» (ص١٥٤).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦٢).

(٤) «الروح» (ص١٦٦).

*** أقوال أئمة السلف في إثبات نعيم القبر وعذابه.**

عن هانئ مولىٰ عثمان بن عفان قال: «كان عثمان بن عفان ﷺ إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتىٰ يبل لحيته، فيقال له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟

قال: فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن القبر أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه.**

قال: فقال عثمان ﷺ: ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»[(١)].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «إن أحدكم ليجلس في قبره إجلاسًا، فيقال له: ما أنت؟ فإن كان مؤمنًا قال: أنا عبد الله حيًّا وميتًا، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيفسح له في قبره ما شاء الله فيرىٰ مكانه من الجنة وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة.

وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ثلاثًا، فيضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه، أو تتماس أضلاعه، ويرسل عليه حيات من جوانب قبره ينهشنه ويأكلنه، فإذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار من حديد»[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص١٣١).

(٢) أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص ١٣٢).

وعن عائشة ﵂ قالت: «إن الكافر يسلط عليه في قبره شجاع أقرع، فيأكل لحمه من رأسه إلىٰ رجله، ثم يكسىٰ اللحم فيأكل من رجله إلىٰ رأسه، فهو كذلك»(١).

وقال الإمام أحمد في سياق ذكره لأصول أهل السنة: «والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها»(٢).

وقال: «عذاب القبر حق ما ينكره إلا ضال مضل»(٣).

وقال ابن أبي عاصم: «وصحت الأخبار عن رسول الله ﷺ في استعاذته من عذاب القبر، وتعوذه منه، وثبت عنه أنه أمر بالاستعاذة والتعوذ منه، وثبت عنه أن أمته ستبتلىٰ في قبورها، وهي أخبار ثابتة توجب العلم، وتنفي الريب والشك.

والله نسأل أن يعيذنا من عذاب في قبورنا، وأن يجعلها علينا رياضًا خضراء تنور لنا فيها»(٤).

وقال البغوي: «باب عذاب القبر»(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص١٣٤).

(٢) «أصول السنة» في ضمن كتاب «عقائد السلف» (ص٢٥).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٢).

(٤) «السنة» (١/ ٦٠٨).

(٥) «شرح السنة» (٥/ ٤١٢).

وقال البربهاري: «والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير»[(١)].

ومن القصص التي تذكر في عذاب القبر: ما ذكره عبد الحق الإشبيلي قال: حدثني الفقيه أبو الحكم بن برحان -وكان من أهل العلم والعمل- أنهم دفنوا ميتًا بقريتهم في شرق إشبيلية، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون، ودابة ترعىٰ قريبًا منهم، فإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلىٰ القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولت فَارَّة، ثم عادت إلىٰ القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولَّت فارة، فعلت ذلك مرة بعد أخرىٰ[(٢)].

وعذاب القبر قد يُكشَف لبعض الناس، ويعلمونه ويتحققونه، وهذا ينتفع به من علمه، ويزيده إيمانًا.

لكن أهل السنة لا يعتمدون في المسائل العلمية إلا علىٰ نصوص الكتاب والسنة[(٣)].

ومما يجب أن يعلم: أن عذاب القبر غير فتنة القبر؛ لدلالة قول النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر**»[(٤)].

---

(١) «شرح السنة» (ص٦٥).

(٢) «الروح» لابن القيم (ص١٥٨).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٤/ ٣٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٩) (ح٦٣٦٨).

فقد عطف بينهما بحرف الواو، وهو يقتضي المغايرة.

قال ابن عبد البر: «وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من فتنة القبر، وعذاب القبر، وعذاب النار، في حديث واحد؛ وذلك دليل علىٰ أن عذاب القبر غير فتنة القبر، والله أعلم؛ لأن الفتنة قد تكون فيه النجاة، وقد يعذب الكافر في قبره علىٰ كفره دون أن يُسأل، والله أعلم»[1].

وقال: «فتنة القبر غير عذاب القبر؛ لأن الواو تفصل بين ذلك، هذا ما توجبه اللغة، وهو الظاهر في الخطاب، والله أعلم»[2].

❍❍❍❍❍

(١) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥٢).

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥٢).

*** مذاهب المخالفين لأهل السنة في عذاب القبر:**

تناقضت مذاهب المتكلمين في عذاب القبر.

قال أبو عبد الله القرطبي: «فصار أبو الهذيل وبشر: إلىٰ أن من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، وأن المساءلة إنما تقع في تلك الوقت.

وأثبت البلخي وكذلك الجبائي وابنه عذاب القبر، ولكنهم نفوه عن المؤمنين، وأثبتوه للكافرين والفساق.

وقال الأكثرون من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، وتقريع الملكين له هو النكير.

وقال صالح قبة والصالحي: عذاب القبر جائز، وأنه يجري علىٰ الموتىٰ من غير رد الأرواح إلىٰ الأجساد، وأن الميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم، وهذا مذهب جماعة من الكرامية.

وقال بعض المعتزلة: إن الله يعذب الموتىٰ في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتىٰ كسبيل السكران والمغشي عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام.

وأما الباقون من المعتزلة مثل: ضرار بن عمرو، وبشر المريسي، ويحيىٰ بن كامل، وغيرهم، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلًا، وقالوا: إن من

مات فهو ميت في قبره إلىٰ يوم البعث»[(١)].

ثم قال أبو عبد الله القرطبي: «وهذه أقوال كلها فاسدة تردها الأخبار الثابتة»[(٢)].

فالمعتزلة حكىٰ عنهم الأشعري أنهم ينفون عذاب القبر[(٣)].

بينما القاضي عبد الجبار المعتزلي يذكر أن المعتزلة يقرون بعذاب القبر، قال: «فصل في عذاب القبر، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكىٰ عن ضرار بن عمرو، وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ... وأما الوقت الذي يثبت فيه التعذيب، وتعيين ذلك، فمما لا طريق إليه، ومن الجائز أن يكون بين النفختين..

وأما فائدة عذاب القبر، وكونه مصلحة للمكلفين، فإنهم متىٰ علموا أنهم إن أقدموا علىٰ المقبحات، وأخلوا بالواجبات عذبوا في القبر، ثم بعد ذلك في نار جهنم، كان ذلك صارفًا لهم عن القبائح، داعيًا إلىٰ الواجبات، وما هذا سبيله وكان في مقدور الله تعالىٰ فلابد من أن يفعله»[(٤)].

وقال: «علىٰ أن ذكرنا أن القوي في هذا الباب أنه تعالىٰ يؤخر ذلك إلىٰ

---

(١) «التذكرة» (١/ ٣٧٨).

(٢) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٣٨٠).

(٣) «مقالات الإسلاميين» (٢/ ٣١٨).

(٤) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٠-٧٣٣).

ما بين النفختين»[(١)].

فالقاضي وإن زعم أن المعتزلة يثبتون عذاب القبر؛ لكنهم يثبتونه علىٰ أصولهم الباطلة من أنه لما كان مصلحة علىٰ العباد، فيجب علىٰ الله فعل الأصلح، إن كان في مقدور الله؛ لأن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

كما أنه جعل زمن وقوعه ما بين النفختين لا عند الممات، وهذا في الحقيقة إنكار لعذاب القبر الذي وردت به النصوص الشرعية.

والشبه الهزيلة التي اعتمد عليها من أنكر عذاب القبر أنهم قالوا:

- إننا نكشف القبر فلا نجد فيه حيات ولا نيرانًا متأججة، ولو كشفناه في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير ، ولو وضعنا علىٰ عينيه الزئبق لما تغير.

- وأما الأحاديث الواردة في عذاب القبر: فكل حديث يخالف مقتضىٰ المعقول والمحسوس فهو خطأ قطعًا[(٢)].

والجواب عن شُبَهِ هؤلاء المُبطِلين من وجوه:

الوجه الأول: أن الشريعة تأتي بما تَحَارُ فيه العقول لا بما تُحِيلُه العقول.

---

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٣).

(٢) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٣٧١)، و«الروح» (ص١٧٧).

فما أخبرت به الشريعة من تفاصيل البرزخ وغيرها لا يكون مستحيلًا في العقول، وإنما يحتار فيه العقل؛ لأن العقل لا يدركه.

وما كان هذا سبيله فليس للعقل فيه إلا التسليم.

الوجه الثاني: أن دعواهم أن الأبدان لم تتغير في القبور دعوىٰ باطلة؛ وذلك أن عذاب القبر من الأمور الغيبية التي حجبها الله عن خلقه، وقدرة الرب فوق كل شيء.

فأحكام البرزخ تكون علىٰ الأرواح، والأبدانُ تَبعٌ لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، وتنعمت بنعيمها؛ تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها في الحياة البرزخية.

وتأمل هذا المثال الذي يقرب لك ما تقدم: أن النائم عندما يُنعَّم أو يُعذَّب في قبره يجرىٰ علىٰ روحه أصلًا، والبدن تبع له، وقد يقوىٰ حتىٰ يؤثر في البدن تأثيرًا مشاهدًا، فيرىٰ النائم في نومه أنه ضُرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه؛ وذلك أن الحكم لما جرىٰ علىٰ الروح استعانت بالبدن من خارجه[1].

الوجه الثالث: وأما زعمهم: أنه لو وضعنا علىٰ عينيه الزئبق لما تغير؛ فإن العبد قادر علىٰ أن يزيل الزئبق ثم يرده بسرعة، فكيف يعجز عنه

(١) انظر: «الروح» (ص١٨١).

الملك؟! وكيف لا يقدر عليه من هو علىٰ كل شيء قدير؟!

ثم إن الحياة البرزخية ليست كحياة الدنيا، ونعيم وعذاب البرزخ ليس كنعيم وعذاب الحياة الدنيا.

فلو كان الميت موضوعًا بين الناس لم يمتنع أن يأتياه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه.

ونظير هذا: النائم ينام إلىٰ جنب صاحبه، فيضرب في النوم ولا يشعر به صاحبه[1].

وبالجملة: فأحوال المقابر وأهلها علىٰ خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم؛ فليس تنقاس أحوال الآخرة علىٰ أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئًا مما هنالك[2].

❍❍❍❍❍

---

(١) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٣٧١)، و«الروح» (ص١٩٧).
(٢) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٣٧٣).

مسائل متعلقة
بنعيم القبر وعذابه

المسألة الأولى:
ما الحكمة من عدم إطْلاَع الناس على عذاب القبر

إن العباد لو اطَّلعوا علىٰ عذاب القبر لما استقامت لهم حياتهم، ولصار علمَ شهادةٍ ولم يكن علم غيب يمتحن الله به عباده.

ومن رحمة الله: أن جعل إخفاءه سترًا علىٰ الميت، وحفظا لأهله من العار، والخزي، ونحو ذلك.

ولو سمع الإنسان عذاب القبر لصُعِقَ.

قال أبو عبد الله القرطبي: «قال علماؤنا وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله: «**لولا ألَّا تَدَافنوا**» الحديث، فكتمه الله سبحانه عنا حتىٰ نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية؛ لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر علىٰ القرب من القبر للدفن، ويهلك الحي عند سماعه؛ إذ لا يُطَاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار؛ لضعف هذه القُوَىٰ.

ألا ترىٰ أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف، أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس؟!

وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل شيء يليه؟!

وقد قال في الجنازة: «**ولو سمعها إنسانٌ لصُعِق**».

قال القرطبي: هذا وهو علىٰ رءوس الرجال من غير ضرب ولا هوان، فكيف إذا حل به الخزي والنكال، واشتد عليه العذاب والنكال؟»[1].

وقال ابن القيم: «لو أطلع عليه العباد كلهم لزالت كلمة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس»[2].

❍❍❍❍❍

(١) «التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤٠٨).

(٢) «الروح» (ص١٨٧).

المسألة الثانية: هل يتعلق نعيم القبر وعذابه بالروح والجسد معًا، أو لا؟

الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو محل اتفاق بينهم: أن النعيم والعذاب يكون علىٰ الروح والجسد معًا، وقد يكون علىٰ الروح منفردة عن البدن.

قال ابن تيمية: «العذاب والنعيم علىٰ النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعم النفس وتُعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»[(١)].

وقال: «فقد أخبرت هذه النصوص أن الروح تنعم مع البدن الذي في القبر إذا شاء الله، وأنها تنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حق»[(٢)].

ويدل علىٰ مذهب أهل السنة:

ما جاء عن البراء بن عازب ﵁ مرفوعًا، قال: «**فتعاد روحه في**

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٩٥).

جسده»[١].

فقد نص النبي ﷺ على عودة الروح إلى الجسد، فيقع عليهما النعيم والعذاب.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتُولِّي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه ...**»[٢].

فقد أثبت النبي ﷺ أن الميت يسمع ويقعد، وهذا من صفات الأبدان، فَدَلَّ على أن العذاب والنعيم يقع على البدن والروح.

كما قد دلت الأدلة على أن الروح قد تنعم أو تعذب وحدها:

عن كعب بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة**»[٣].

فقد أخبر النبي ﷺ أن الروح تأكل من شجر الجنة، فَدَلَّ ذلك أن الروح قد تتنعم وحدها.

وعن مسروق، قال: «سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٠) (ح١٣٣٨).

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ١٠٨) (ح٢٠٧٣)، وصححه الألباني في تعليقه على السنن.

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: **أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة.**

فقال: هل تشتهون شيئًا؟

قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا»[(١)].

ولا ينافي هذا ما تقدم من إعادة الروح إلىٰ البدن، فإن أرواح المؤمنين في الجنة وإن كانت مع ذلك تُعاد إلىٰ البدن؛ كما أنها تكون في البدن ويُعرج بها إلىٰ السماء كما في حال النوم.

فتتصل الروح بالبدن متىٰ شاء الله، وذلك في لحظة، بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم؛ فإن ذلك يكون في لحظة[(٢)].

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٤/ ٣٦٥).

وخالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أهل الكلام، ومن شذ في هذه المسألة:

فذهب ابن حزم ومن وافقه إلىٰ أن النعيم والعذاب في البرزخ يكون علىٰ الروح فقط.

قال ابن حزم: «فتنة القبر وعذابه والمسألة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد»[١].

وذهب بعض أهل الكلام أنه يقع علىٰ البدن فقط، كأنه ليس عندهم نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية[٢].

وأختم بنقل مهم عن أبي العباس ابن تيمية في بيان الأقوال الشاذة في هذه المسألة قال فيه: «وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث؛ قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا علىٰ الروح؛ وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

وهذا تقوله: (الفلاسفة) المنكرون لمعاد الأبدان؛ وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦٢) كما ذهب إليه أيضًا ابن جرير الطبري في كتابه «التبصير في معالم الدين» (ص٢٠٨)، وهو قول مخالف لإجماع السلف.

ويقوله كثير من (أهل الكلام) من المعتزلة وغيرهم: الذين يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور.

وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وأصحاب أبي الحسن الأشعري كالقاضي أبي بكر وغيرهم؛ وينكرون أن الروح تبقىٰ بعد فراق البدن.

وهذا قول باطل؛ خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره؛ بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقىٰ بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة.

والفلاسفة الإلهيون يقولون بهذا، لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان؛ لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان؛ وكلا القولين خطأ وضلال.

لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام»[1].

○○○○○

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٣).

المسألة الثالثة:
هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

عذاب القبر نوعان: دائم ومنقطع[(١)].

أما العذاب الدائم: فهو الذي لا ينقطع.

ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر:٤٦].

ومن السنة: ما جاء في حديث سمرة في رؤيا النبيﷺ وفيه: «**أما الذي رأيته يشَق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلىٰ يوم القيامة، والذي رأيته يُشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلىٰ يوم القيامة...**»[(٢)].

فقوله: ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ استغراق للزمان.

وأيضا ما جاء عن أبي هريرة، قال: قال النبيﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجِّل جُمَّته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في**

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (ص٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٠) (ح١٣٨٦).

الأرض إلىٰ يوم القيامة»[١].

هذه النصوص دَلَّت علىٰ أن العذاب لا ينقطع إلىٰ يوم القيامة.

فالكافر لا ينقطع عذابه، إلا أنه ينام نَوْمَةً بين النفختين؛ لدلالة قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢].

فعن قتادة ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ قال: «هذا قول أهل الضلالة. والرقدة: ما بين النفختين»[٢].

قال ابن كثير: «وقال أُبَيّ بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين»[٣].

وأما العصاة فمنهم من يكون عذابه دائمًا، ومنهم من يكون عذابه منقطعًا.

وأما العذاب المنقطع: هو الذي يكون مدة من الزمن ثم ينقطع.

وهذا الانقطاع إما أن يكون بسبب خفة جُرمه فيعذب بحسب جُرمه،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤١) (ح٥٧٨٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٣٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٨١).

ثم يخفف عنه، أو يكون بسبب دعاء، أو استغفار، أو صدقة أو غير ذلك.

ومما يشهد لهذا: ما جاء في «صحيح البخاري» عن ابن عباس قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: **يعذبان، وما يعذبان في كبير**.

ثم قال: **بلىٰ، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**.

ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع علىٰ كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟

قال: **لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا**، أو: **إلىٰ أن ييبسا**».

فقد خُفِّفَ عنهما بسبب شفاعة النبي ﷺ.

ooooo

المسألة الرابعة:
أسباب عذاب القبر

يمكن أن تقسم الأسباب إلىٰ قسمين: مجملة ومفصلة [١].

أولًا: الأسباب المجملة لعذاب القبر:

كل عمل يغضب الله ويسخطه فهو سبب لعذاب القبر، فمن أغضب الله ثم لم يتب قبل أن يموت كان له من عذاب القبر بقدر ذنبه.

ثانيًا: الأسباب المفصلة لعذاب القبر:

هناك ذنوب معينة جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيان أنها أسباب لعذاب القبر، ومن تلك:

- **النميمة بين الناس.**
- **عدم التنزه من البول.**

ودليلهما: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «أنه مر بقبرين يعذبان،

---

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (ص٢١١).

فقال: **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»**[(١)].

قال ابن القيم: «فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقًا، وفي هذا تنبيه علىٰ أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا علىٰ أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابًا»[(٢)].

- من جر ثوبه خيلاء.

ودليله: أن ابن عمر، حدث أن النبي ﷺ، قال: **«بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة»**[(٣)].

- الذي يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاق.

- رجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار.

- الزاني.

- آكل الربا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥) (ح١٣٦١).

(٢) «الروح» (ص٢١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٧) (ح٣٤٨٥).

ودليلهم: عن سمرة بن جندب، قال: «كان النبي ﷺ إذا صلىٰ صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: **من رأىٰ منكم الليلة رؤيا؟**

قال: فإن رأىٰ أحد قَصَّها، فيقول: ما شاء الله؛ فسألنا يومًا فقال: **هل رأىٰ أحد منكم رؤيا؟**

قلنا: لا، قال: **لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلىٰ الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم، بيده كَلُّوب من حديد يدخله في شدقه حتىٰ يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟**

قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ أتينا علىٰ رجل مضطجع علىٰ قفاه ورجل قائم علىٰ رأسه بفهر -أو: صخرة- فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلىٰ هذا حتىٰ يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، قلت: من هذا؟

قالا: انطلق.

فانطلقنا إلىٰ ثَقْبٍ مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتىٰ كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟

قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ أتينا علىٰ نهر من دم فيه رجل قائم وعلىٰ وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمىٰ الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمىٰ في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ انتهينا إلىٰ روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان.

وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب، ونساء، وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ، وشباب.

قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت؟

قالا: نعم.

أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلىٰ يوم القيامة.

والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلىٰ يوم القيامة.

والذي رأيته في الثقب فهم الزناة.

والذي رأيته في النهر آكلوا الربا.

والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم ﷺ، والصبيان، حوله، فأولاد الناس.

والذي يوقد النار مالك خازن النار.

والدار الأولىٰ التي دخلت دار عامة المؤمنين.

وأما هذه الدار فدار الشهداء.

وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك»[(١)].

○○○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٠) (ح١٣٨٦).

المسألة الخامسة:
الأسباب المنجية من عذاب القبر

يمكن أن تقسم الأسباب إلىٰ قسمين: مجملة ومفصلة.

أولًا: الأسباب المجملة المنجية من عذاب القبر:

فعل الطاعات، وترك المعاصي، فمن فعل الطاعات وترك المعاصي نجا من عذاب القبر.

قال ابن القيم: «ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها علىٰ ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام علىٰ تلك التوبة، ويعزم علىٰ ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات علىٰ توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسرورًا بتأخير أجله حتىٰ يستقبل ربه ويستدرك ما فاته»(١).

ثانيًا: الأسباب المفصلة المنجية من عذاب القبر:

هناك منجيات معينة جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيان أنها أسباب

---

(١) «الروح» (ص٢١٦).

منجية من عذاب القبر، ومن تلك:

- الشهادة في سبيل الله:

والدليل: عن المقدام بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرىٰ مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر...**»(١).

من مات بداء البطن.

والدليل: عن عبد الله بن يسار، قال: «كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلًا توفي مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: **من يقتله بطنه، فلن يعذب في قبره**.

فقال الآخر: بلىٰ»(٢).

- قراءة سورة تبارك كل ليلة:

والدليل: عن عبد الله بن مسعود، قال: «من قرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]. كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ١٨٧) (ح١٦٦٣). وقال: «حديث صحيح غريب»، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ٩٨) (ح٢٠٥٢) وصححه الألباني.

نسميها: المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب»[١].

فليحرص كل عبد تقي لله علىٰ كل سبب يُنجي من عذاب القبر، وليبتعد عن كل سبب يوجب عذاب القبر.

ومن حَقَّق هذا المقام كان قد آمن باليوم الآخر حقًّا.

❍❍❍❍❍

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٢٦٢) (ح١٠٤٧٩).

المطلب الثالث:
النفخ في الصور

النفخ لغة: معروف.

فنَفَخ بفمه يَنْفُخ نَفْخًا؛ إذا أَخرج منه الريح[١].

والصور لغة: قرن يُنفخ فيه[٢]، وهو كهيئة البوق.

قال مجاهد: «الصور كهيئة البوق»[٣].

النفخ في الصور شرعًا: هو نفخ صاحب القرن في القرن الذي التقمه بعد سماع الإذن بالنفخ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٣/ ٦٢).

(٢) أخرج الترمذي في جامعه (٤/ ٦٢٠): أن أعرابيًّا جاء إلىٰ النبي ﷺ، فقال: «ما الصور؟ قال: **قرن ينفخ فيه**». وصححه الألباني.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا (٨/ ١٠٨)، قال الحافظ ابن حجر: «**تنبيه:** لا يلزم من كون الشيء مذمومًا ألا يُشَبَّه به الممدوح، فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس، مع النهي عن استصحاب الجرس، كما تقدم تقريره في بدء الوحي». «فتح الباري» (١١/ ٣٦٨).

وهذا المعنىٰ قد عبر عنه في النصوص الشرعية بعدة تعبيرات:

- الصيحة؛ قال تعالىٰ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٥٣].

قال البغوي: «﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾؛ يعني: النفخة الآخرة»(١).

- الزجرة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الصافات:١٩].

قال الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «يقول -تعالىٰ ذكره-: فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور»(٢).

- الناقور؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨].

قال عكرمة: «إذا نُفخ في الصور»(٣).

- الراجفة والرادفة؛ قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦-٧].

قال الحسن البصري: «هما النفختان»(٤).

وليس معنىٰ الصور: أن ينفخ في صُوَرِ الموتىٰ، كمن ذهب إليه مَن ذهب.

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٢١).

(٢) «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٥).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧).

(٤) «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩١).

فإن هذا ترده الأدلة الدالة علىٰ أنه قرن ينفخ فيه، وسيأتي بيانها.

وقد دل علىٰ ثبوت النفخ في الصور: الكتاب، والسنة.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾ [طه:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨].

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة ﷺ، قال: «**بينما يهودي يعرض سلعته، أعطي بها شيئًا كرهه.**

فقال: لا والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فلطم وجهه.

وقال: تقول: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر، والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي، فقال: لِمَ لطمت وجهه... فذكره، فغضب النبي ﷺ حتىٰ رئي في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من

في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرىٰ، فأكون أول من بعث، فإذا موسىٰ آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بُعث قبلي» (١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتًا ورفع ليتًا.**

قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله -أو قال: **ينزل الله- مطرًا كأنه الطل** -أو: **الظل-، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرىٰ، فإذا هم قيام ينظرون...»**(٢).

والنفخ في الصور صفته: بعد أن يستمع صاحب القرن الإذن بالنفخ، ينفخ في الصور، فيفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من يشاء الله، ويلزم من هذا الفزع أنهم يصعقون ويموتون.

فترجف الأرض والجبال، ويُسيِّر الله الجبال، فتكون سَرابًا، وتُرَجُّ الأرضُ بأهلها رجًّا.

ثم ينفخ فيه نفخة أخرىٰ، فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم قيام من قبورهم وأماكنهم، يخرجون سراعًا إلىٰ ربهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٩) (ح٣٤١٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٨) (ح٢٩٤٠).

مسائل متعلقة

بالنفخ في الصور

المسألة الأولى:
من هو النافخ في الصور؟

لم يرد في الأدلة الشرعية الصحيحة تسمية نافخ الصور بـ(إسرافيل)، وإنما جاءت بتسميته إما بـ(صاحب الصور)، أو بـ(صاحب القرن).

فجاءت بتسميته إما بـ(صاحب الصور)، وذلك فيما أخرجه الحاكم في مستدركه[١] عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**».

وجاءت أيضًا بتسميته بـ(صاحب القرن)؛ وذلك فيما أخرجه الترمذي في جامعه[٢] عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متىٰ يؤمر بالنفخ فينفخ**».

هذا الذي جاءت به السنة الصحيحة، ولم يرد فيها تسميته بـ(إسرافيل)، لكن قد وقع الإجماع علىٰ تسمية النافخ في الصور بـ(إسرافيل).

---

(١) (٤/ ٦٠٣) وحسنه ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٦٨).
(٢) (٤/ ٦٢٠) (ح٢٤٣١)، وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني.

قال أبو عبد الله القرطبي: «قال علماؤنا: والأمم مجمعون علىٰ أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام»[(١)].

فإذا ثبت الإجماع، فالإجماع حجة يثبت به باب الاعتقاد، وإذا لم يثبت فالواجب السكوت عما سكت الله عنه ورسوله ﷺ؛ إذ لو كان في ذكره فائدة لنا لجاء ذلك صريحًا في نصوص الكتاب والسنة.

تنبيه:

جاء في سنن ابن ماجه عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «**إن صاحبي الصور بأيديهما، أو في أيديهما قرنان، يلاحظان النظر متىٰ يؤمران**»[(٢)].

وهذا الحديث الذي فيه أن للصور صاحبين، ضعيف، منكر.

فيه حجاج بن أرطاة وعطية العوفي، وهما ضعيفان، وهو مخالف للأحاديث الصحيحة.

○○○○○

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤٨٨).

(٢) (٢/ ١٤٢٨) (ح٤٢٧٣)، قال الألباني في تعليقه علىٰ ابن ماجه: «منكر، والمحفوظ بلفظ: صاحب القرن».

المسألة الثانية:
عدد النفخات في الصور

اختلف أهل العلم في هذه المسألة علىٰ قولين:

القول الأول: أنهما نفختان.

ذهب إليه ابن عباس[١]، والحسن البصري، وقتادة[٢]، وأبو عبد الله القرطبي[٣] وابن حجر[٤].

النفخة الأولىٰ، هي: نفخة الفزع والصعق.

فنفخة الفزع هي: نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه.

ولاتحاد الاستثناء في الآيتين[٥].

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩٠).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩١).

(٣) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤٩١).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٣٥).

(٥) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤٩٠)، و«روح المعاني» (٢٠/ ٣١).

النفخة الثانية، هي: نفخة البعث.

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦-٧].

قال الحسن البصري: «هما النفختان»[١].

وقال ابن كثير: «قال ابن عباس: هما النفختان الأولىٰ والثانية. وهكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغير واحد»[٢].

وأيضًا احتجوا بما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**»[٣].

القول الثاني: أنها ثلاث نفخات.

ذهب إليه ابن العربي[٤]، وابن تيمية[٥]، والشوكاني.

النفخة الأولىٰ: نفخة الفزع.

دلَّ عليها: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨ / ٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٦) (ح٤٨١٤).

(٤) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (١/ ٤٩٠).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٣٥).

ﭐلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧].

النفخة الثانية: نفخة الصعق.

النفخة الثالثة: نفخة البعث.

دلَّ عليهما: قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

واحتجوا أيضًا بحديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه: «**ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين...**»[١].

والصحيح: أنها نفختان؛ وذلك:

لما ثبت عن عبد الله بن عمرو: أن النبيﷺ قال: «**ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتًا ورفع ليتًا، قال: وأول من يسمعه: رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرىٰ، فإذا هم قيام ينظرون**»[٢].

فبيَّن أنه إذا نفخت النفخة الأولىٰ وسمعها الناس يُصعقون، ثم تأتي

---

(١) **قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٦٩)**: «أخرجه الطبري هكذا مختصرًا، وقد ذكرت أن سنده ضعيف ومضطرب».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٨) (ح٢٩٤٠).

النفخة الثانية فيقوم الناس من قبورهم ينظرون.

ولما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولىٰ، ثم ينفخ في الصور: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨]، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]»[(١)].

ولحديث: «**ما بين النفختين أربعون**».

ولاتحاد الاستثناء في الآيتين.

فهذا كله دل علىٰ أنهما نفختان.

تنبيه:

ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الصعق يكون يوم القيامة؛ لحديث: «**لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور**»[(٢)].

وهذا غير صحيح؛ لأن هذه الصعقة قد جاء بيانها في رواية لهذا الحديث عند مسلم، وفيه تفسير الصعقة بالبعث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ص١١٩١) (ح٦٩١٧).

ولفظ هذه الرواية: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرىٰ، فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسىٰ ﷺ آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بُعث قبلي**»[١].

○○○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص١٠٤٣) (ح٢٣٧٣).

المسألة الثالثة:
ما بين النفختين من الوقت

مقدار ما بين النفختين؛ جاء في حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون**.

قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟

قال: أبيت.

قالوا: أربعون سنة؟

قال: أبيت.

قالوا: أربعون شهرًا؟

قال: أبيت»(١).

ومعنىٰ قول أبي هريرة: «أبيت» بالموحدة؛ أي: امتنعت من تبيينه؛ لأني لا أعلمه، فلا أخوض فيه بالرأي(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٢٦) (ح٤٨١٤).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٧٠).

قال ابن حجر في سياق تضعيف رواية «أربعين سنة»: «وقع كذلك في طريق ضعيف عن أبي هريرة في تفسير ابن مردويه، وأخرج ابن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن: «**بين النفختين أربعون سنة، الأولىٰ يميت الله بها كل حي، والأخرىٰ يحيي الله بها كل ميت**»، ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس، وهو ضعيف أيضًا.

وعنده أيضًا ما يدل علىٰ أن أبا هريرة لم يكن عنده علم بالتعيين، فأخرج عنه بسند جيد أنه لما قالوا: أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت»[1].

ooooo

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٧٠).

المسألة الرابعة: من المستثنى من الصعق؟

قد ذكر الله في كتابه أن هناك مستثنين من الفزع والصعق، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧].

لكن لا يمكن الجزم بكل من استثناهم الله؛ لعدم ورود الدليل، وهذا الباب لا يعرف إلا من جهة الشرع، فيجب السكوت عما سكت الله عنه ورسولهﷺ من الأمور الغيبية.

قال أبو العباس القرطبي: «والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح»[(١)].

وقال ابن تيمية: «وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور

(١) «المفهم» (٦/ ٢٣١).

العين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله؛ فإن الله أطلق كتابه»[١].

ويدل لهذا: ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تخيروني على موسىٰ، فإن الناس يُصعَقُون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسىٰ باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنىٰ الله**»[٢].

فالنبي ﷺ توقف في موسىٰ هل هو ممن استثناه الله أو لا، فإذا توقف رسول الله ﷺ فغيره من باب أولىٰ.

قال ابن تيمية: «فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنىٰ الله: لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة»[٣].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٠) (ح٢٤١١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦١).

المبحث الخامس:
الحياة الآخرة

الحياة الآخرة هي: التي لا حياة بعدها.

وسميت آخرة: لمجيئها بعد الدنيا.

والحياة الآخرة يندرج تحتها عدة مطالب:

المطلب الأول: البعث.

المطلب الثاني: الحشر.

المطلب الثالث: الشفاعة.

المطلب الرابع: نشر الصحف.

المطلب الخامس: الحساب.

المطلب السادس: وزن الأعمال.

المطلب السابع: الحوض.

المطلب الثامن: الصراط.

المطلب التاسع: القنطرة.

المطلب العاشر: الجنة والنار.

❍❍❍❍❍

المطلب الأول: البعث

لغة: يدور معنىٰ البعث علىٰ الإثارة.

فالباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة. ويقال: بعثت الناقة: إذا أثرتها[(١)].

شرعًا: إحياء الأموات وإخراجهم من قبورهم[(٢)].

وهذا المعنىٰ قد عُبِّر عنه في النصوص الشرعية بعدة تعبيرات، منها:

- المعاد؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

- النشور؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩].

- الخروج؛ قال تعالىٰ: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق:١١].

---

(١) «مقاييس اللغة» (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٩٣).

وقد دل على وقوع البعث، والإيمان به: الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

تنوعت نصوص الكتاب العزيز في إثبات البعث، وهي على النحو الآتي:

- التصريح بإثبات البعث، وتأكيده؛ قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦].

- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج:٥].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

- الإخبار عمن أماتهم الله ثم أحياهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ [البقرة:٢٥٩].

- الاستدلال علىٰ البعث بخلق السموات والأرض؛ وذلك أن خلقها أعظم من بعث الإنسان.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣].

- الاستدلال علىٰ البعث بإخراج النبات، وإحياء الأرض بعد موتها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة، قال: «كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه جبريل فقال: **ما الإيمان؟**

قال: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث**»(١).

فقد جعل الله الإيمان بالبعث من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، وذكره لأهميته، وللدلالة به علىٰ اليوم الآخر.

وعن كعب بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتىٰ يبعثه الله ﷻ إلىٰ جسده يوم القيامة**»(٢).

فقد صرح النبيُّ ﷺ بوقوع البعث.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته، فوقصته، قال النبي ﷺ: **اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تُخَمِّروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٩) (ح٥٠).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٤/ ١٠٨) (ح٢٠٧٣) وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٥) (ح١٢٦٥).

ثالثًا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: ... والبعث من بعد الموت حق»(١).

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت...»(٢).

وقال ابن تيمية: «ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين، واليهود، والنصارىٰ، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة»(٣).

*** أقوال أئمة السلف في إثبات البعث:**

قال ابن عيينة: «السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: ... والبعث يوم القيامة»(٤).

وقال ابن منده: «ذكر وجوب الإيمان بالبعث والنشور»(٥).

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).
(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٥).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٨٤).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٥).
(٥) «كتاب الإيمان» (٢/ ٩٥١).

مسائل متعلقة بالبعث

المسألة الأولى: صفة البعث

إذا نفخ صاحب الصور نفخة البعث خرج الناس من قبورهم سراعًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

وقد أخبر النبي ﷺ بصفة البعث؛ فقال: «**ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلىٰ، إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذَّنَب، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة**»(١).

والناس يُبعثون ليوم عظيم شأنه، هائل أمره، فظيع هوله، عسير علىٰ الكافرين غير يسير.

من هول هذا اليوم: تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتُلقي كل حامل ما في بطنها من غير تمام، وترىٰ الناس فيه سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، ولكن عذاب الله شديد.

شخصت فيه أبصار الظلمة، فلا ترتدُّ إليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٦٥) (ح٤٩٣٥).

قلوب العباد فيه من مخافة عقاب الله قد بلغت الحناجر، فلا هي تخرج، ولا تعود إلىٰ أمكنتها.

وقد حَذَّر الله من ذلك اليوم فقال: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧].

يحدث فيه انشقاق السماء وانفطارها، وتُكَوَّر الشمس، وتنكدر النجوم وتتغير، وتتناثر الكواكب، وتُحَوَّل الجبال رملًا فتكون هباءً منثورًا، وتسجر البحار فتصير نارًا.

أسأل الله أن يثبتنا.

❍❍❍❍❍

المسألة الثانية: حكم إنكار البعث

إنكار البعث كفر، فمن أنكر البعث فهو كافر.

وقد دلَّ علىٰ هذا الحكم:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وقد أنكر البعث أهل الكفر من العرب[(١)]، واليونان، والهند[(٢)].

وقد رد الله عليهم في كتابه في غير ما آية؛ قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

---

(١) من العرب من كان يؤمن باليوم الآخر: منهم زيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وزهير بن أبي سُلمَىٰ وغيرهم. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢٤٠).

(٢) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ١١).

وبين سبحانه شبه منكري المعاد والرد عليها؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٧٨-٨٣].

فقد سأل هذا الرجل سؤال إنكار متضمِّنًا للنفي، أي: لا أحد يُحيي العظام وهي رميم يابسة باردة.

فَرَدَّ سبحانه هذه الشبهة من وجوه[١]:

الأول: بيان إمكان ما هو أبعد من ذلك الذي نفاه ذلك الرجل، فالله علىٰ كل شيء قدير فقال: ﴿ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وقد أنشأها من التراب، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء واستحال.

الثاني: في قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ فبين أنه أخرج النار الحارة اليابسة من البارد الرطب، وذلك أبلغ في المنافاة من إحياء ما يبس من العظام؛ لأن اجتماع الحرارة والرطوبة أيسر من اجتماع

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (١/ ١٢٧).

الحرارة واليبوسة، فالرطوبة تقبل من الانفعال ما لا تقبله اليبوسة.

الثالث: أنه جاء باستفهام التقرير الدال علىٰ أن خلق السموات والأرض مستقر معلوم عند المُخاطَب، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾.

الرابع: بيان قدرته العامة بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

كما قد ذهب بعض المتفلسفة ومن وافقهم إلىٰ إثبات المعاد للروح فقط، وأن الأبدان لا تعاد.

ومن هؤلاء من يقول: بأن الأرواح تتناسخ؛ إما في أبدان الآدميين، أو أبدان الحيوان مطلقًا[1].

○○○○○

(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/ ١١).

المسألة الثالثة:
المخالفون لأهل السنة في البعث

قد خالف أهل السنة والجماعة أهلُ الكلام في مسائل متعلقة بالبعث علىٰ النحو الآتي:

المسألة الأولىٰ: هل المعاد علىٰ الروح والبدن معًا أو لا؟

مذهب السلف من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان إثبات المعاد علىٰ الروح والبدن جميعًا.

ويشهد له: ما جاء عن كعب بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتىٰ يبعثه الله ﷻ إلىٰ جسده يوم القيامة**»[1].

وذهبت طائفة من أهل الكلام إلىٰ أن المعَاد يكون علىٰ الأبدان فقط، وهو قول باطل مخالف للأدلة.

(١) تقدم تخريجه.

المسألة الثانية: مبدأ المعاد.

اضطرب أهل الكلام فيه؛ بناء علىٰ أصلهم أن الأجسام مركبة من الجواهر فمنهم من قال: تُعدم الجواهر ثم تُعاد.

ومنهم من قال: تتفرق الأجزاء ثم تجتمع.

فأورد عليهم: الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر؛ فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا لم تُعد من هذا.

وأورد عليهم أيضًا: أن الإنسان يتحلل دائمًا، فما الذي يُعاد أهو الذي كان وقت الموت؟

فإن قيل بذلك: لزم أن يعاد علىٰ صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص الشرعية.

وإن كان غير ذلك: فليس بعض الأبدان بأولىٰ من بعض.

فادَّعىٰ بعضهم: أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني.

والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلَّل، ليس فيه شيء باقٍ[1].

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٤٦).

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلىٰ حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرىٰ، كما استحال في النشأة الأولىٰ: فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه خلقًا سويًّا.

كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلىٰ كله إلا عَجْب الذَّنَب(١).

قال رسول الله ﷺ: «**كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجْب الذَّنَب منه خُلِق، وفيه يُركَّب**»(٢).

فالله يعيد الجسد نفسه الذي أطاع وعصىٰ في الدنيا، ولا يكون البعث لجسد آخر، ومن زعم غير هذا فقد أنكر البعث.

والمعاد في الآخرة هو نفسه الذي خُلق ابتداء في الدنيا، فالمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأة فرق.

فالنشأة الأولىٰ كان الإنسان علقة ثم مضغة إلىٰ غير ذلك، وفي النشأة الثانية يعاد من تراب، والبدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو البدن الأول، ولهذا يشهد البدن المُعَاد بما عمل في الدنيا(٣).

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٤٦)، و«شرح الطحاوية» (ص٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧١) (ح٢٩٥٥).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٢٥٥-٢٥٩).

المطلب الثاني:
الحشر

لغة: يدور معناه في اللغة علىٰ الجمع.

فالحشرُ: الجمع مع سوقٍ، وكل جمع حشرٌ.

والعرب تقول: حشرتِ السنة مال بني فلان كأنها جمعته، وأتت عليه[(١)].

والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم[(٢)].

شرعًا: جمع الخلق يوم القيامة مع سوقهم إلىٰ أرض المحشر.

وقد دل علىٰ ثبوت الحشر: الكتاب، والسنة.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ

(١) «مجمل اللغة» لابن فارس (١/ ٢٣٦).

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ١٠٥).

جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥].

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلًا**.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟

فقال: **الأمر أشد من أن يُهِمَّهم ذاك**»(١).

وعن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظة، فقال: «**يا أيها الناس، إنكم محشورون إلىٰ الله حفاة عراة غرلًا،** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]. **ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام**»(٢).

وعن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٩) (ح٦٥٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٤) (ح٢٨٦٠).

القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء، كقرصةِ نقي». قال سهل أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**»[١].

فقد دلت الأدلة المتقدمة علىٰ ثبوت الحشر يوم القيامة.

❍❍❍❍❍

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٩) (ح٦٥٢١).

مسائل متعلقة بالحشر

المسألة الأولى: أرض المحشر

وصف الله سبحانه هذه الأرض قائلًا: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

واختلف العلماء في معنىٰ التبديل في الآية علىٰ قولين:

القول الأول: أن معنىٰ التبديل: إزالة هذه الأرض والإتيان بأرض أخرىٰ.

نسب إلىٰ أنس بن مالك(١)، وهو قول ابن مسعود، ومجاهد(٢)، واختاره الطبري(٣)، والقرطبي(٤).

قال ابن مسعود : «تبدل الأرض أرضًا كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة»(٥).

---

(١) «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٢).

(٤) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٨٣).

(٥) «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٦)، وقال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٧٥): «وأخرج عبد الرزاق، =

واحتجوا: بحديث سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي**». قال سهل أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**»[(١)].

قال ابن حجر: «فيه إشارة إلىٰ أن أرض الدنيا اضمحلت وأُعدمت، وأن أرض الموقف تجددت»[(٢)].

القول الثاني: أن معنىٰ التبديل: أن تبدل صفات الأرض وأحوالها.

نسب إلىٰ ابن عباس[(٣)]، وعبد الله بن عمرو.

واحتجوا: بما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش»[(٤)].

=

وعبد بن حميد، والطبري في تفاسيرهم، والبيهقي في الشعب من طريق عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. الآية قال: «تبدل الأرض أرضًا كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة». ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٩) (ح٦٥٢١).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٧٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦١٩) وقال: «رواته عن آخرهم ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول».

وأيضًا قالوا: إن التبديل في لغة العرب بمعنىٰ: تغيير الصفة.

واعترض عليه: أن التبديل يأتي بمعنىٰ الإزالة كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

والصحيح: أن معنىٰ التبديل: إزالة هذه الأرض والإتيان بأرض أخرىٰ؛ لدلالة حديث سهل المتقدم، ولأثر ابن مسعود المفسر للآية.

فالناس يحشرون يوم القيامة علىٰ الأرض المبدَّلة.

تنبيه:

قال ابن تيمية: «وحشرهم وحسابهم يكون قبل الصراط؛ فإن الصراط عليه ينجون إلىٰ الجنة، ويسقط أهل النار فيها، كما ثبت في الأحاديث.

وحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم[١]، يدل علىٰ أن التبديل وهم علىٰ الصراط، لكن البخاري لم يورده، فلعله تركه لهذه العلة وغيرها؛ فإن سنده جيد.

أو يقال: تبدل الأرض قبل الصراط، وعلىٰ الصراط تبدل السموات.

---

(١) عن عائشة، قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]. فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: **علىٰ الصراط**». أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠) (ح٢٧٩١).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فالطي غير التبديل، ... فطيُّ السموات لا ينافي أن يكون الخلق في موضعهم، وليس في شيء من الأحاديث أنهم يكونون عند الطي علىٰ الجسر»[١].

❍❍❍❍❍

(١) «المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٠٤).

المسألة الثانية:
صفة أرض المحشر

قد جاء في حديث سهل ﵁ المرفوع وصف أرض المحشر بقوله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي**» قال سهل أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**»(١).

والمراد بالعفراء: بيضاء إلىٰ حمرة.

والنقىٰ: هو الأرض الجيدة.

هذه الأرض ليس بها علامة سكنىٰ، أو بناء(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو محمد بن أبي جمرة: فيه دليل علىٰ عظيم القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة؛ ليكون السامع علىٰ بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول؛ لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس، وحملها علىٰ ما فيه خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «المنهاج شرح مسلم» للنووي (١٧/ ١٣٤).

وفيه إشارة إلىٰ أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدًّا.

والحكمة في الصفة المذكورة: أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه علىٰ عباده المؤمنين علىٰ أرض تليق بعظمته؛ ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده. انتهىٰ ملخصًا»[١].

وجاء أيضًا في وصف هذه الأرض: أن الله يجعلها كالرغيف الكبير يأكل منها المؤمنون.

عن أبي سعيد الخدري، قال النبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر، نزلًا لأهل الجنة.**

فأتىٰ رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟

قال: **بلىٰ**.

قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٧٥).

ثم ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال: **ألا أخبرك بإدامهم؟** قال: **إدامهم بَالَام ونون.**

قالوا: وما هذا؟ قال: **ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا»**[(١)].

❍❍❍❍❍

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٨) (ح٦٥٢٠).

المسألة الثالثة:
صفة محشر الخلق في هذه الأرض

يُحشر الكفار علىٰ وجوههم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

وعن قتادة، حدثنا أنس بن مالك ﷺ: «أن رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه؟

قال: أليس الذي أمشاه علىٰ الرجلين في الدنيا قادرًا علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة.

قال قتادة: بلىٰ وعزة ربنا»(١).

ويساقون إلىٰ جهنم ظمآنيين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦].

وأما المتكبرون فيحشرهم الله يوم القيامة أمثال الذر يغشاهم الذل، جزاء وفاقًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٩) (ح٦٥٢٣).

فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلىٰ سجن في جهنم يسمىٰ بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»(١).

بينما أهل الإيمان يُحشَرون في غاية الإكرام؛ قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

وممن يُحشَر أيضًا: البهائم والطير والدواب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨].

ويكون حشر الناس في ذلك اليوم حفاة عراة، كل واحد منهم له شأن يغنيه، فهو مشتغل بنفسه عن أقرب الناس إليه.

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلًا**.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٥) (ح٢٤٩٢)، وحسنه الألباني.

فقال: **الأمر أشد من أن يهمهم ذاك»**[١].

ولا يشكل علىٰ هذا: ما جاء عن أبي سعيد الخدري، أنه لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**»[٢].

فهذا الحديث إما أن يكون محمولًا علىٰ الشهيد.

قال ابن عبد البر: «وهذا قد يحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله علىٰ العموم، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد الذي أمر أن يزمل بثيابه، ويدفن فيها، ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير شيء من حاله»[٣].

وقال أبو عبد الله القرطبي: «الملابس في الدنيا أموال، ولا مال في الآخرة، زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا»[٤].

وإما أن يكون المراد بالثياب العمل.

قال ابن حجر: «وحمله بعض أهل العلم علىٰ العمل، وإطلاق الثياب علىٰ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٩٠) (ح٣١١٤).

(٣) «التمهيد» (١٩/ ١٤).

(٤) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٥٣٧).

العمل وقع في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]»[١].

وأول من يكسىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام.

فعن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظة، فقال: «... **ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام**»[٢].

إذا حشر الخلق وقفوا في موقف عظيم، في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة، غرلًا، فيأخذ الناس من كرب ذلك اليوم وشدته، وتكون القلوب فيه عند الحناجر من الخوف، وتشخص أبصارهم إلىٰ السماء، تشيب فيه الولدان، وتتشقق السماء.

لعظم هوله، يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجته وبنيه.

فموقف الناس يومئذ عظيم وشديد، ووقوف الخلائق فيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

يلجم الناس العرق في هذا اليوم، وتدنو من رءوسهم الشمس، فيشتد عليهم حرها، ويشق عليهم دنوها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتي النبي ﷺ يومًا بلحم فقال: «**إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُسمِعهم الداعي وينفذهم**

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٤) (ح٢٨٦٠)

البصر، وتدنو الشمس منهم»[١].

وعن المقداد ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد، حتىٰ تكون قيد ميل أو اثنين، فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلىٰ عقبيه، ومنهم من يأخذه إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا!**

فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلىٰ فيه؛ أي: يلجمه إلجامًا»[٢].

فإذا بلغ بالناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فزعوا يتلمَّسون الشفاعة من الأنبياء.

وقد ميز الله هذه الأمة بأنها تبعث في مكان مرتفع.

فعن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: «**يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي علىٰ تل، فيكسوني ربي حلة خضراء، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤١) (ح٣٣٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٤) (ح٢٤٢١)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٩٩) (ح٦٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٦٩).

تنبيه:

قد يفهم أن هناك تعارضًا بين بعض الآيات في الحشر.

ومن ذلك: ما أخبر الله أنه يحشر الكفار صمًّا لا يتكلمون: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

وأخبر في آية أخرىٰ أنهم يتعارفون، ولا يكون التعارف إلا بالكلام: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥].

والجواب عن هذا: أنهم أول ما يحشرون يكلم بعضهم بعضًا، ويتعارفون، ويتخافتون بينهم، كما دلت علىٰ ذلك الأدلة.

فإذا سيق بهم إلىٰ جهنم سلبوا أسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم[(١)].

○○○○○

(١) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٥٢٩).

المطلب الثالث:
الشفاعة

لغة: خلاف الوتر.

فالشين والفاء والعين أصل صحيح يدل علىٰ مقارنة الشيئين.

من ذلك: الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فردًا فشفعته[١].

شرعًا: كلام الشَّفِيعِ للملك في حاجة يسألُها لغيره[٢].

يدل عليه: ما جاء عن النبيﷺ أنه قال: «... **حتىٰ إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم...**»[٣].

وقد دل علىٰ ثبوت الشفاعة: الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٠١).

(٢) انظر: «لسان العرب» (٧/ ١٥١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

دلت هذه الأدلة علىٰ إثبات الشفاعة يوم القيامة بشرطين:

أحدهما: إذن الله.

والثاني: رضاه سبحانه عن الشافع وعن المشفوع فيه.

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

الأحاديث في إثبات الشفاعة متواترة.

قال ابن تيمية: «وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده»[1].

وسيأتي إيراد شيء منها.

ثالثًا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين وما أدركا عليه العلماءَ في جميع

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣١٤).

الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: ... والشفاعة حق»(١).

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر»(٢).

قال أبو القاسم التيمي: «فصل في مذهب أهل السنة ... ويؤمنون بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره، وبسؤال القبر، والشفاعة»(٣).

*** أقوال أئمة السلف في إثبات الشفاعة:**

قال الإمام أحمد في سياق ذكر أصول أهل السنة: «والإيمان بشفاعة النبي ﷺ»(٤).

وقال أبو القاسم التيمي: «فصل في ذكر شفاعة النبي ﷺ»(٥).

وقال عبد الغني المقدسي: «ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة، ويشفع في المذنبين من

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٥).

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٤).

(٤) «أصول السنة» في ضمن كتاب عقائد السلف (ص٢٥).

(٥) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٢٠).

أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا»[(١)].

والشفاعة بحسب ما دلت عليها النصوص الشرعية قسمان:

الأول: شفاعة خاصة بالنبيﷺ، لا يشاركه فيها أحد.

وهي أنواع:

النوع الأول: شفاعته لأهل الموقف؛ ليقضىٰ بينهم.

وهذه الشفاعة لأهل الموقف إنما هي لتسريع حسابهم، وحتىٰ يرتاحوا من هول هذا الموقف الذي تشيب فيه الولدان.

وهو المقام المحمود؛ الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩].

وعن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ أتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: **أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.**

فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟

---

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص١٦٤).

فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم ﷺ فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟

فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سَمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها علىٰ قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه.

فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات -فذكرهن أبو حيان في الحديث- نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول الله، فضلك الله برسالته

وبكلامه علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ بن مريم، فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟

فيقول عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عَزَّوَجَلَّ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب.

فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٤) (ح٤٧١٢).

قال ابن خزيمة: «باب ذكر الشفاعة التي خص بها النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء، ودون سائر المؤمنين، وهي الشفاعة الأولىٰ، التي يشفع بها لأمته؛ ليخلصهم الله من الموقف الذي قد جمعوا فيه يوم القيامة مع الأولىٰ»[(١)].

النوع الثاني: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة**»[(٢)].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[(٣)].

النوع الثالث: شفاعته لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب.

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمك، فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟

قال: **هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»[(٤)].

---

(١) «التوحيد» (٢/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) (ح١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) (ح١٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٥٢) (ح٣٨٨٣).

وهذه الشفاعة مستثناة من قوله تعالىٰ عن الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

الثانية: شفاعة عامة تثبت للنبيﷺ، ولغيره.

وهي نوعان:

النوع الأول: الشفاعة في عصاة الموحدين الذين أدخلتهم ذنوبهم النار أن يخرجوا منها.

عن أبي سعيد الخدري، عن النبيﷺ أنه قال: «**ثم يُضرب الجسر علىٰ جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم، سلم.**

قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟

قال: **دحض مزلة، فيها خطاطيف وكلاليب وحَسَك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتىٰ إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.**

يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم علىٰ النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلىٰ نصف ساقيه، وإلىٰ ركبتيه.

ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا.

ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا».

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء:٤٠].

فيقول الله ﷻ : **شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ...»**(١).

وعن أنس ﵁، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة شُفِّعْت.**

فقلت: يا رب، أدخِلِ الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنىٰ شيء»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٦) (ح٧٥٠٩).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يُسَمَّون الجهنميين**»[(١)].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[(٢)].

قال ابن خزيمة: «فمعنىٰ قوله: «**شفاعتي لأهل الكبائر**»؛ أي: من ارتكب من الذنوب الكبائر، فأدخلوا النار بالكبائر»[(٣)].

والمراد بالكبائر: ما دون الشرك من الذنوب.

قال ابن خزيمة: «فمعنىٰ قوله: «**لأهل الكبائر من أمتي**»؛ إنما أراد منه: الذين أجابوه، فآمنوا به، وتابوا من الشرك»[(٤)].

وقد أنكر هذه الشفاعة: الخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ وذلك أن من يدخل النار عندهم لا يخرج منها.

وأصل شبهتهم: أنه لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب[(٥)].

النوع الثاني: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٦) (ح٦٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٣٦) (ح٤٧٩٣).

(٣) «كتاب التوحيد» (٢/ ٥٧٩).

(٤) «كتاب التوحيد» (٢/ ٥٧٩).

(٥) انظر: «قاعدة في التوسل والوسيلة» (ص١١).

عن أم سلمة، قالت: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر!** فضج ناس من أهله، فقال: **لا تدعوا علىٰ أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنون علىٰ ما تقولون.**

ثم قال: **اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه**»(١).

قال ابن تيمية: «شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب، ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين»(٢).

بقي بيان أن بعض العلماء كابن تيمية(٣)، وابن حجر(٤)، وغيرهما يذكرون نوعًا من أنواع الشفاعة، وهو الشفاعة في قوم استوجبوا النار ألا يدخلوها.

ولم أقف علىٰ دليل لهذا النوع.

ولا يصح أن يستدل بحديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»؛ فهو محمول علىٰ من دخل النار، كما فهم ذلك أئمة السلف.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٤) (ح٩٢٠).

(٢) «قاعدة في التوسل والوسيلة» (ص١١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٧).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٤٢٨).

وقد جاء توضيح هذا الحديث في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم، وفيه: «.. **فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم..**».

وقد قال ابن القيم: «وهذا النوع لم أقف إلىٰ الآن علىٰ حديث يدل عليه.

وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص»(١).

والذين ثبتت شفاعتهم غير النبي ﷺ علىٰ النحو الآتي:

١ - الملائكة.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «... **فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة...**»(٢).

---

(١) «تهذيب السنن ضمن عون المعبود» (١٣/ ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

٢- الأنبياء.

عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «... **فيقول الله ﷻ : شفعت الملائكة، وشفع النبيون...**»[١].

٣- المؤمنون.

عن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «... **فيقول الله ﷻ : ... وشفع المؤمنون...**»[٢].

وقال النبي ﷺ: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي، أكثر من بني تميم.**

قالوا: يا رسول الله، سواك؟

قال: **سواي**»[٣].

٤- الشهداء.

عن المقدام بن معديكربَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرىٰ مقعده من الجنة، ويجار من**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٢٦) (ح٢٤٣٨)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٣) (ح٤٣١٦)، وصححه الألباني.

عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»[1].

٥- أولاد المؤمنين.

عن أبي حسان، قال: «قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟

قال: قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة[2]، يتلقىٰ أحدهم أباه -أو قال: أبويه-، فيأخذ بثوبه -أو قال: بيده-، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهىٰ -أو قال: فلا ينتهي- حتىٰ يدخله الله وأباه الجنة»[3].

ومما يجدر ذكره هنا: أن الوعيدية من الخوارج والمعتزلة يزعمون أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة دون الفساق في رفع الدرجات، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقًا[4].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ١٨٧) (ح١٦٦٣)، وصححه الألباني.

(٢) أي: صغار أهلها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٩) (ح٢٦٣٥).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣١٤).

فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة»[(١)].

وقد رد عليهم: الصحابي الجليل جابر بن عبد الله.

فعن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم، جالس إلى سارية، عن رسول الله ﷺ قال: «**فإذا هو قد ذكر الجهنميين.**

قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]. و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[السجدة:٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال جابر: أتقرأ القرآن؟

قلت: نعم.

قال جابر: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ -يعني الذي يبعثه الله فيه-؟

قلت: نعم.

قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج.

---

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص٦٨٧-٦٨٨).

قال: ثم نعت وضع الصراط، ومر الناس عليه.

قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني: فيخرجون كأنهم عيدان السماسم.

قال: **فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس.**

فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب علىٰ رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»[(١)].

وقال الآجري: «إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشًا، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلىٰ آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله ﷻ: أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها، فجعلها المُكذِّب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلىٰ أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل علىٰ هذا، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان، واتبع غير سبيلهم»[(٢)].

ooooo

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٩) (ح١٩١).

(٢) «الشريعة» (٣/ ١٢٠٥).

المطلب الرابع: نشر الصحف

الصحف لغة: جمع صحيفة، وهي التي يُكتب فيها.

فالصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل علىٰ انبساط في شيء، وسعة(١).

وأما نشر الصحف شرعًا فهو: توزيع الصحف التي كُتبت فيها أعمال بني آدم.

وقد دل علىٰ ثبوت الصحف ونشرها: الكتاب، والسنة، والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير:١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ [الانشقاق:٧-١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٥].

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٣٣٤).

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «**يدني المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتىٰ يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟**

فيقول: أي رب، أعرف.

قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطىٰ صحيفة حسناته...»[١].

وعن عبد الله بن بسر قال: قال النبي ﷺ: «**طوبىٰ لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»[٢].

ثالثًا: الإجماع.

قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت.. ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير وغيرها»[٣].

*** أقوال أئمة السلف في إثبات نشر الصحف:**

قال ابن أبي زيد القيرواني: «ويؤتون صحائفهم بأعمالهم: فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص١٢٠٠) (ح٢٧٦٨).
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (ص٥٤٥) (ح٣٨١٨).
(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٥).

فأولئك يصلون سعيرًا»[١].

وقال ابن تيمية: «تنشر الدواوين -وهي صحائف الأعمال- فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره»[٢].

وصفة نشر الصحف: أن عمل الإنسان الذي عمله في الدنيا قد أحصي عليه، فيخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل.

فيلقىٰ كتابه منشورًا، بعد أن كان مطويًّا علىٰ ما فيه من الحسنات والسيئات.

فأما المؤمنون فيأخذون صحائف أعمالهم بأيمانهم، وأما الكفار فيأخذونها بشمائلهم من وراء ظهورهم.

ولا علم لنا بكيفية أخذهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، فنتوقف عن البحث فيه؛ لأنه غيبي.

فيفرح المؤمن ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠].

ويكون جزاؤه: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢١-٢٤].

---

(١) «مقدمة ابن أبي زيد» لكتابه «الرسالة» (ص٥٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٦).

وأما الكافر فإنه يدعو بالويل ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

ويكون جزاؤه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

فإذا نُشِرت الصحف حوسبوا بها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨].

فالفاء في قوله: ﴿فَسَوْفَ﴾ للتعقيب، فبعد أخذ الكتاب يبدأ الحساب.

ooooo

المطلب الخامس:
الحساب

لغة: من معانيه في اللغة: العَدُّ.

تقول: حسبت الشيء أحسبه حسبًا وحسبانًا[(١)].

شرعًا: إيقاف الله عباده علىٰ أعمالهم يوم القيامة؛ ليجازيهم عليها.

وقد دل علىٰ ثبوت الحساب: الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠].

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٥٩).

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن عائشة، زوج النبي ﷺ -وكانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتىٰ تعرفه-، وأن النبي ﷺ قال: «**من حوسب عذب**.

قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق:٨].

قالت: فقال: **إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك**»(١).

فقد دلت النصوص المتقدمة صراحة علىٰ إثبات الحساب يوم القيامة.

ثالثًا: الإجماع.

قال ابن أبي زَمَنين: «ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ يحاسب عباده يوم القيامة»(٢).

قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمنون بالحوض والكوثر، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حسابًا يسيرًا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) (ح١٠٣).

(٢) «أصول السنة» (ص١١٧).

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٩).

*** أقوال أئمة السلف في إثبات الحساب:**

قال ابن منده: «ذكر وجوب الإيمان بالقيامة، والمحاسبة»(١).

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «ويؤتون صحائفهم بأعمالهم: فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرًا»(٢).

وقال البربهاري: «والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله بأبصار رءوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان»(٣).

وقال اللالكائي: «وجوب الإيمان بالجنة والنار، والبعث بعد الموت، والميزان، والحساب، والصراط يوم القيامة»(٤).

ويكون الحساب حين يبعث الله الخلائق بعد نشر الصحف؛ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦].

في هذا اليوم تشرق الأرض بنور ربها، ويوضع الكتاب الذي فيه أعمال العباد؛ لمحاسبتهم ومجازاتهم، ويؤتىٰ بالنبيين؛ ليسألهم ربهم عما

(١) «كتاب الإيمان» (٢/ ٩٥٧).
(٢) «مقدمة ابن أبي زيد» لكتابه «الرسالة» (ص٥٩).
(٣) «شرح السنة» (ص٦٤).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١٢٣٠).

أجابتهم به أممهم، وردَّت عليهم في الدنيا، ويؤتىٰ أيضًا بالشهداء الذين هم أمة محمدﷺ، ويستشهدهم ربهم علىٰ الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلىٰ أممها؛ إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله.

فيوفي الله حينئذٍ كلَّ نفس جزاء عملها من خير وشرّ.

وفي هذا المعنىٰ يقول سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر:٦٩-٧٠].

وممن يحاسب أيضًا: الدواب؛ كما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها حتىٰ يقتص للشاة الجماء -التي لا قرن لها- من الشاة القرناء نطحتها**»(١).

فإذا اقتص بعضها من بعض أمرها الله أن تكون ترابًا فتكون ترابًا، فعن أبي هريرة: أن رسول اللهﷺ قال: «**يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء، حتىٰ إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرىٰ، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٦٣) (ح٧٣٦٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ١٨٠-١٨١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٤٦٥).

والذي يتولىٰ الحساب رب العزة ﷻ، فيأتي سبحانه إتيانًا يليق بجلاله، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠].

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن الله -تبارك وتعالىٰ- يجيء يوم القيامة: ﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]. لعرض الأمم وحسابها، وعقوبتها وثوابها»(١).

فيعرض الناس علىٰ الرب صفًّا، فيقول لهم الرب: لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف:٤٨].

ولشدة الهول تكون كل أمة مجتمعة مستوفزة علىٰ ركبها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٨].

ويتميز المؤمنون علىٰ الكفار؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يس:٥٩].

والحساب ليس نوعًا واحدًا.

أنواع الحساب:

الحساب نوعان حسب ما وردت به النصوص الشرعية:

---

(١) «مقدمة ابن أبي زيد» لكتابه «الرسالة» (ص٥٩).

الأول: العرض، وهو: أن تُعرض أعمال المؤمن عليه حتىٰ يظهر ستر الله عليه في الدنيا، ومنة الله في عفوه عنه في الآخرة.

ويدل علىٰ هذا: ما جاء عن عائشة قالت: «قلت: يا نبي الله، ما الحساب اليسير؟

قال: **أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذٍ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن، يكفر الله ﷻ به عنه، حتىٰ الشوكة تشوكه**»(١).

وجاء في صفة العرض: عن صفوان بن محرز المازني، قال: «بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوىٰ؟

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره.**

فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟

فيقول: نعم أي رب، حتىٰ إذا قرره بذنوبه، ورأىٰ في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطىٰ كتاب حسناته،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٠/ ٢٦٠) (ح٢٤٢١٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٠) (ح٨٤٩).

وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]»(١).

الثاني: المناقشة، وهو: استقصاء أعمال العبد وإيقافه عليها، وعدم العفو عنه فيها.

ومن هنا يتضح: أنه لا تعارض بين الآية والحديث.

أما الآية: فقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق:٨].

وأما الحديث: فقوله ﷺ: «**من نوقش الحساب يهلك**»(٢).

فالمراد بالحساب في الآية العرض، وفي الحديث المناقشة.

وهاهنا أمر ينبغي ذكره، وهو: أن من المعتزلة من صرح بإثبات الحساب، لكن ينبغي أن يعلم أن مأخذهم غير مأخذ أهل السنة، فإنه لما كان المعتزلة ينكرون صفات الله زعموا أن حقيقة المحاسبة خلق علم ضروري في قلب العبد، فإنهم ما فهموا من المحاسبة المضافة لله إلا ما فهموه من المخلوق، فوقعوا في التشبيه، ثم انتهىٰ بهم الأمر إلىٰ التعطيل.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وأما الحساب فمما لا يجوز إنكاره، .. غير أن محاسبة الله تعالىٰ إيانا لا تجري علىٰ حد ما تجري

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) (ح٢٤٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) (ح١٠٣).

المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين، فإن ذلك فيما بيننا يكون بعقد الأصابع، أو ما يجري مجراه، وليس هكذا محاسبة الله عباده، فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري في قلبه أنه يستحق من الثواب العذاب كذا ومن العقوبة كذا، فيسقط الأقل بالأكثر»[(١)].

تنبيه:

أول الأمم محاسبة يوم القيامة: أمة النبي ﷺ.

ويشهد لهذا:

عن أبي هريرة، وعن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارىٰ يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**»[(٢)].

ويستثنىٰ من الحساب مَن حَقَّق التوحيد؛ فإنه لا يُحَاسب، كما جاء عن عمران قال: قال نبي الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب.**

---

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص ٧٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٦) (ح٨٥٦).

قالوا: ومن هم يا رسول الله؟

قال: **هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلىٰ ربهم يتوكلون**»[١].

○○○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص١١١) (ح٢١٨).

مسائل متعلقة بالحساب

المسألة الأولى:
هل الكفار يحاسبون؟

قد دلت الأدلة أن العبد يحاسب، فهل هذا الخطاب خاص بالمؤمن، أو يدخل فيه الكافر.

اختلف أهل العلم على قولين:

القول الأول: يحاسبون يوم القيامة.

اختاره أبو عبد الله القرطبي(١)، وأبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو طالب(٢).

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ

---

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (٢/ ٦٧٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٥).

خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢-١٣].

القول الثاني: لا يحاسبون يوم القيامة.

اختاره أبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلىٰ[(١)] واللالكائي[(٢)].

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

واعترض عليهم: أن القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون فيه سؤال ولا كلام، فلا تتناقض الآيات والأخبار[(٣)].

قال عكرمة: «إنها مواطن، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها»[(٤)].

والذي يظهر لي: أن الكفار يحاسبون محاسبة من تعرض عليهم أعمالهم؛

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٠٥).
(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١٢٤٦).
(٣) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٦٧٦).
(٤) «تفسير البغوي» (٧/ ٤٥٠).

توبيخًا، ومجازاة عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣].

قال ابن عباس: «لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ: لم عملتم كذا وكذا»(١).

ولا يحاسبون محاسبة من لهم حسنات وسيئات؛ فإن الكفار لا حسنات لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة، لم تكن له حسنة يجزىٰ بها**»(٢).

ومن فائدة حسابهم أيضًا: زيادة العذاب علىٰ من ازداد كفره؛ فإن النار دركات.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٤٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٢) (ح٢٨٠٨).

ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل:٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

ونكتة هذه المسألة: أن الحساب قد يُراد به الإحاطة بالأعمال وكتابتها في الصحف، وعرضها ومجازاتهم عليها.

وقد يُراد بالحساب: وزن الحسنات بالسيئات؛ ليتبين أيهما أرجح[١].

❍❍❍❍❍

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٤٧٨).

المسألة الثانية:
أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال

أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله: الصلاة، وأول ما يقضىٰ بين الناس في الدماء، فالصلاة علاقة بين العبد وربه، والدماء حقوق بين العباد.

وقد جمع بينهما النبيﷺ في حديث واحد.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضىٰ بين الناس في الدماء**»[1].

قال النووي: «قولهﷺ: «**أول ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء**».

فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضىٰ فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكبير خطرها.

وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن: «**أول ما يحاسب به العبد صلاته**»؛ لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله

(١) أخرجه النسائي في سننه (٧/ ٨٣) (ح٣٩٩١)، وصححه الألباني.

تعالىٰ، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد»[1].

تنبيه:

إذا انتهىٰ الحساب كان بعده الميزان؛ وذلك أن المحاسبة لتقرير الأعمال وإحصائها، والوزن لإظهار مقدارها.

قال أبو عبد الله القرطبي: «قال العلماء: إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء:٤٧].

ooooo

(١) «المنهاج شرح مسلم» (١١/ ١٦٧).

المطلب السادس: وزن الأعمال

الميزان لغة: أصله مِوْزانٌ، انقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها[١].

والواو والزاء والنون: بناء يدل علىٰ تعديل واستقامة: ووزنت الشيء وزنًا. والزنة: قدر وزن الشيء؛ والأصل وزنة. ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف النهار. وهذا يوازن ذلك، أي: هو محاذيه[٢].

والميزان: الآلة التي يوزن بها الأشياء[٣].

شرعًا: ما يضعه الله يوم القيامة؛ لوزن أعمال العباد، ونحوها.

وقد دل علىٰ ثبوت الميزان: الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٢١٣).

(٢) «مقاييس اللغة» (٦/ ١٠٧).

(٣) «لسان العرب» (١٣/ ٤٤٦).

يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

ثانيًا: من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»(١).

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»(٢).

ثالثًا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: ...والميزان حق، له كفتان توزن فيه أعمال العباد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) (ح٦٤٠٦).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣) (ح٢٢٣).

حسنها وسيئها حق»[١].

وقال ابن أبي زَمَنين: «وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة»[٢].

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت.. والمقام الهائل من الصراط، والميزان»[٣].

وقال أبو القاسم التيمي: «فصل في مذهب أهل السنة ... ويؤمنون بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره، وبسؤال القبر، والشفاعة، والحوض، والميزان»[٤].

*** أقوال أئمة السلف في إثبات الميزان:**

عن ابن وضاح، عن زهير بن عباد أنه قال: «كل من أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان، وفضيل، وعيسىٰ بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، كانوا يقولون: الميزان حق»[٥].

وقال ابن عيينة: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: ... والميزان»[٦].

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).
(٢) «أصول السنة» (ص١٦٢).
(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٥).
(٤) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٤).
(٥) «أصول السنة» (ص١٦٢).
(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٥).

وقال ابن وضاح: «سألت يحيىٰ بن معين عنه، قال: (حق)»[١].

وقال ابن أبي عاصم: «الأخبار التي في ذكر الميزان أخبار كثيرة صحاح، لا تذهب عن أهل المعرفة بالأخبار؛ لكثرتها وصحتها وشهرتها، وهي من الأخبار التي توجب العلم»[٢].

وقال البربهاري: «والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر»[٣].

❍❍❍❍❍

(١) «أصول السنة» (ص١٦٢).

(٢) «السنة» (٢/ ٥٢٥).

(٣) «شرح السنة» (ص٦٤).

*** وقد أنكر الميزان بعض المعتزلة، وأوَّلُوه بالعدل:**

قال ابن تيمية في بيان مذهب المعتزلة في الميزان: «تأويل الميزان، والصراط، وعذاب القبر، والسمع والبصر، إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية»(١).

وقد رد عليهم القاضي عبد الجبار المعتزلي فقال: «ولم يرد الله تعالىٰ بالميزان إلا المعقول منه المتعارف عليه فيما بيننا، دون العدل وغيره علىٰ ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنىٰ العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾.

فدل ذلك علىٰ طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالىٰ مهما أمكن حمله علىٰ الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلىٰ المجاز، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنىٰ، فدل علىٰ أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل علىٰ ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا»(٢).

❍❍❍❍❍

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٤٨).

(٢) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٥).

مسائل متعلقة بوزن الأعمال

المسألة الأولى:
صفات الميزان

قد جاءت السنة النبوية الصحيحة بوصف الميزان بصفات متعددة، وهو من الغيب الذي لا مجال لمعرفته إلا عن طريق الوحي، ومن النصوص الواردة في ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «**عرشه علىٰ الماء، وبيده الأخرىٰ الميزان، يخفض ويرفع**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٢) (ح٧٤١١).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٤) (ح٢٦٣٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٣٧) (ح٤٣٠٠)، وصححه الألباني.

فقد دلت هذه النصوص علىٰ الصفات الآتية:

- بيد الرحمن يرفع قومًا ويضع آخرين.
- يزن مثاقيل الذر.
- دقيق في وزنه فلا يزيد ولا ينقص.
- تخف إحدىٰ الكفتين أو تثقل.

ومما ينبغي أن يعلم: أنه لم يثبت في حديث صحيح أن الميزان له لسان، لكن روي عن ابن عباس.

فقد أخرج البيهقي في «الشعب»[(١)] من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات».

وآفته الكلبي، فهو متهم بالكذب.

❍❍❍❍❍

(١) (١/ ٤٤٧).

المسألة الثانية:
ما الذي يوزن في الميزان؟

اختلف العلماء في هذه المسألة علىٰ أقوال، منها:

القول الأول: الذي يوزن صحائف الأعمال.

واحتجوا: بما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخَلِّص رجلًا من أمتي علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة فيَنشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟**

فيقول: لا يا رب.

فيقول: أفلك عذر؟

فيقول: لا يا رب، فيقول: بلىٰ إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فقال: إنك لا تظلم.

قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

القول الثاني: الذي يوزن الأعمال نفسها.

قال السدي: «توزن الأعمال»(٢).

واحتجوا: بما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده**»(٣).

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»(٤).

القول الثالث: الذي يوزن العامل نفسه.

قال عبيد بن عمير: «يُجْعَل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٤) (ح٢٦٣٩)، وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٣٧) (ح٤٣٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) «تفسير الطبري» (١٢/ ٣١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) (ح٦٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣) (ح٢٢٣).

بجناح ذباب »[١].

واحتجوا: بما جاء عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]»[٢].

وعن علي، يقول: «أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة، فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: **ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد**»[٣].

والذي يظهر لي: أن الوزن يقع تارة على العمل، وتارة أخرى على العامل، ومرة على الصحف؛ لدلالة الأحاديث المتقدمة، والجمع أولى من الترجيح؛ لأن إعمال الأدلة أولى من إهمال أحدها.

قال ابن عيينة: «يوزن العبد ولا يزن جناح بعوضة، يوزن أعمال العباد كما جاءت به الآثار»[٤].

وقال ابن كثير: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ٣١١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٩٣) (ح٤٧٢٩).
(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٤) (ح٩٢١).
(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٨٦).

صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم»(١).

تنبيه:

الذي يوزن من الأعمال: الحسنات والسيئات.

ويدل علىٰ هذا: قوله تعالىٰ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

قال الطبري: «وأن الله -جل ثناؤه- يزن أعمال خلقه؛ الحسنات منها والسيئات»(٢).

فإن أنكر منكر وزن الأعمال بقوله: هل لله حاجة في وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟

والجواب: ليكون ذلك حُجَّة علىٰ خلقه، ونظيرُه إثباته إياه في أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده(٣).

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٩٠).

(٢) «تفسير الطبري» (١٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٣١٢).

قال أبو إسحاق الثعلبي: «فإن قيل: ما الحكمة في وزن أعمال العباد، والله هو العالم بمقدار كلّ شيء قبل خلقه إياه وبعده؟

قلنا: أربعة أشياء:

أحدها: امتحان الله تعالىٰ عباده بالإيمان به في الدنيا.

والثاني: جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العُقبىٰ.

والثالث: تعريف الله ﷻ للعباد ما عند الله من جزاء علىٰ خير وشر.

والرابع: إلقاؤه الحجَّة عليه»[1].

ooooo

(١) تفسير الثعلبي، «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٤/ ٢١٦).

المسألة الثالثة:
هل الميزان واحد أو متعدد؟

لفظ الميزان جاء في النصوص الشرعية بالإفراد والجمع، فاختلف العلماء فيه: هل هو ميزان واحد أو أكثر من ميزان؟

علىٰ قولين:

القول الأول: الميزان واحد، وهو لجميع الأمم.

قال ابن كثير: «الأكثر علىٰ أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جُمِع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه»[(١)].

واحتجوا: بما جاء عن سلمان أنه قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟

فيقول الله تعالىٰ: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسىٰ، فتقول الملائكة: من تجيز علىٰ هذا؟

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٣٤٥).

فيقول: من شئت من خلقي، فيقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[١].

القول الثاني: هي موازين متعددة.

واحتجوا: بقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

قالوا: إن الميزان جاء في القرآن مجموعًا.

واعترض علىٰ وجه الاستدلال: أن الموازين جمعت باعتبار تعدد الموزونات.

قال القرطبي: «وقيل: الموازين جمع موزون، لا جمع ميزان. أراد بالموازين: الأعمال الموزونة»[٢].

والذي يظهر لي: أن القول الأول هو الراجح؛ لما ثبت عن سلمان ﷺ، وله حكم الرفع.

وأما جمعه فإما تعظيمًا له، أو لتعدد الموزونات، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٣/ ١٣٢٩)، وصححه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٨)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦١٩): «وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي».

(٢) «تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ١٦٦).

المسألة الرابعة: وزن الكفار

هل الكافر يوزن عمله أو لا؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: أن الكفار توزن أعمالهم.

واحتجوا: بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

فقوله: «نفس» في الآية تفيد العموم؛ لأنها نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، فيدخل في هذا العموم «نفس» الكافر.

ولدخوله أيضًا في عموم «من».

القول الثاني: أن الكفار لا توزن أعمالهم.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

واعترض علىٰ وجه الاستدلال: أنه ليس في الآية أن الكافر لا يوزن، وإنما دلت الآية أن الميزان لا يثقل بأعمالهم، لأن الميزان إنما يثقل بالأعمال الصالحة.

والراجح: أن الكافر توزن أعماله؛ لعموم الأدلة، ولا مخصص لها.

لكن الكفار لا توزن حسناتهم وسيئاتهم؛ فإنهم لا حسنات لهم، وإنما توضع السيئات في كفة، فإذا وضعت السيئات في كفة ثقلت.

○○○○○

المطلب السابع: الحوض

لغة: حوض الماء: مجمع الماء(١).

شرعًا: هو مجمع الماء الذي نصبه الله للنبي ﷺ في عرصات القيامة.

وقد دل علىٰ ثبوت الحوض: السنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري علىٰ حوضي**»(٢).

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لأذودن رجالًا عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم علىٰ الحوض، وليُرفعن معي رجال منكم ثم ليُختلجن دوني، فأقول: يا رب**

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٢٥٨).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٦١) (ح١١٩٦).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) (ح٢٣٦٧).

أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»**[٢].

ثانيا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: .. والحوض المكرم به نبينا حق»[٣].

وقال ابن أبي زمنين: «وأهل السنة يؤمنون بأن للنبي محمدًا حوضًا أعطاه الله إياه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»[٤].

وقال أبو القاسم التيمي: «فصل في مذهب أهل السنة .. ويؤمنون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٩) (ح٦٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٩) (ح٦٥٧٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).

(٤) «أصول السنة» (ص١٥٨).

بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره، وبسؤال القبر، والشفاعة، والحوض»(١).

*** أقوال أئمة السلف في إثبات الحوض:**

ذكر عند زياد بن أبي زياد الحوض، فأنكره، فبلغ ذلك أنس بن مالك، فقال: أما والله لأسوأنه غدًا، فقال: ما أنكرتم من الحوض؟

قالوا: سمعتَ النبي يذكره يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، ولقد أدركت عجائز المدينة ما يصلين صلاة إلا سألن الله تعالىٰ أن يوردهن حوض محمد ﷺ»(٢).

وقال ابن عيينة: «السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: ... والحوض»(٣).

وقال الإمام أحمد: «والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله حوضًا يوم القيامة ترد عليه أمته»(٤).

وقال ابن أبي عاصم: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي توجب العلم، أن يعلم كنه حقيقته إنها كذلك، وعلىٰ ما وصف به نبينا حوضه،

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٤).
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤٧٣).
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٥).
(٤) «أصول السنة» في ضمن كتاب عقائد السلف (ص٢٤).

فنحن به مصدقون، غير مرتابين، ولا جاحدين.

ونرغب إلىٰ الذي وفقنا للتصديق به، وخذل المنكرين له، والمكذبين به عن الإقرار والتصديق به، ليحرمهم لذة شربه، أن يوردنا فيسقينا منه شربة، نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأله ذلك بتفضله»[١].

وقال ابن منده: «ذكر وجوب الإيمان بالحوض»[٢].

وقال البربهاري: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ»[٣].

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الحوض موجود الآن.

ويدل علىٰ هذا: ما جاء عن عقبة بن عامر، قال: «صلىٰ رسول الله ﷺ علىٰ قتلىٰ أحد بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: **إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشىٰ عليكم أن تشركوا، ولكني أخشىٰ عليكم الدنيا أن تنافسوها**»[٤].

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن الحوض غير الكوثر.

فالكوثر نهر في الجنة، وأما الحوض فهو في موقف القيامة.

---

(١) «السنة» (١/ ٥٢١).

(٢) «كتاب الإيمان» (٢/ ٩٥٣).

(٣) «شرح السنة» (ص٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٩٤) (ح٤٠٤٢).

عن أنس بن مالك، عن النبيﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قبابُ الدُّر المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟**

قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك، فإذا طينه -أو: **طيبه**- **مسك أذفَر**»(١).

* **والكوثر نهر يسيل في الحوض ويمده، فهو أصل الحوض:**

عن أبي ذر، قال: «قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض قال: **والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المُصْحِية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخُب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلىٰ أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل**»(٢).

والكوثر ورد ذكره في القرآن، أما الحوض فقد جاءت به السنة.

تنبيه:

قد يطلق علىٰ الحوض الكوثر؛ لكونه يُمَدُّ منه(٣).

ومن هذا ما جاء عن أنس قال: «بينا رسول اللهﷺ **ذات يوم بين أظهرنا،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٠) (ح٦٥٨١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٨) (ح٢٣٠٠).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٤٦٦).

إذ أغفىٰ إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: **أنزلت علي آنفًا سورة**، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾! ثم قال: **أتدرون ما الكوثر**؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه نهر وعدنيه ربي** عَزَّوَجَلَّ، **عليه خير كثير، هو: حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة: آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**»[1].

○○○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٤٠٠).

مسائل متعلقة بالحوض

المسألة الأولى:
صفات الحوض

قد جاءت السنة النبوية الصحيحة بوصف حوض النبي ﷺ بصفات متعددة، وهو من الغيب الذي لا مجال لمعرفته إلا عن طريق الوحي، ومن النصوص في ذلك:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»**(١).

وعنه: قال رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء»**(٢).

وعن ثوبان: أن نبي الله ﷺ سُئل عن شراب الحوض، فقال: **«أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، يَغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق»**(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٩) (ح٦٥٧٩).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٣) (ح٢٢٩٢).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٩) (ح٢٣٠١).

وعن أنس قال: قال نبي الله ﷺ: «**ترىٰ فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء**»[١].

فقد دلت هذه النصوص علىٰ الصفات الآتية:

ماؤه أبيض من اللبن.

ريحه أطيب من المسك.

أباريقه كعدد نجوم السماء.

من شرب منها فلا يظمأ أبدًا.

زواياه سواء.

أحلىٰ من العسل.

ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من وَرِق.

أباريقه ذهب وفضة.

طوله مسيرة شهر.

أسال الله أن نَرِدَ حوضه ﷺ؛ فنشرب منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

❍❍❍❍❍

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠١) (ح٢٣٠٣).

المسألة الثانية:
من يذاد من الحوض

إن أقوامًا يذادون عن الحوض، فلا يشربون منه؛ كما قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لأذودن رجالًا عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض**»(١).

وهؤلاء هم:

أولًا: المرتد؛ عن أبي هريرة أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فيُجْلَون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»(٢).

قال أبو العباس القرطبي: «فالذي صار إليه الباجي وغيره، وهو الأشبه بمساق الحديث: أن هؤلاء الذين يقال لهم هذا القول ناس نافقوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) (ح٢٣٦٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٠) (ح٦٥٨٥).

وارتدوا من الصحابة وغيرهم فيحشرون في أمة النبي»[١].

ثانيًا: المبتدع؛ عن عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم علىٰ الحوض، وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٢].

قال ابن عبد البر: «وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المُبعَدين عنه، والله أعلم.

وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، مثل: الخوارج علىٰ اختلاف فرقها، والروافض علىٰ تباين ضلالها، والمعتزلة علىٰ أصناف أهوائها.

فهؤلاء كلهم يُبَدِّلون.

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع.

كل هؤلاء يُخَاف عليهم أن يكونوا عُنُوا بهذا الخبر»[٣].

---

(١) «المفهم» (١/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٩) (ح٦٥٧٦).

(٣) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٢٠/ ٢٦٣).

فعلىٰ كل مسلم أن يحذر من هاتين الصفتين؛ حتىٰ لا يذاد عن حوض رسول الله ﷺ، وهذا يدل علىٰ خطورة الردة، وعلىٰ خطورة البدع التي قد يستهين بها بعض الناس، ويزعم أن هناك بدعةً حسنة!

❍❍❍❍❍

المسألة الثالثة: موضع الحوض

هل الحوض قبل الصراط أو بعده؟

اختلف العلماء في موضع الحوض علىٰ قولين:

القول الأول: أن الحوض بعد الصراط.

وهو ظاهر صنيع البخاري في صحيحه.

قال ابن حجر: «وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلىٰ أن الورود علىٰ الحوض يكون بعد نصب الصراط، والمرور عليه»(١).

واحتجوا: بما جاء عن أنس قال: «سألت رسول الله ﷺ سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة.

فقال: **أنا فاعل**.

قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٦).

قال: **اطلبني أول ما تطلبني علىٰ الصراط.**

قال: قلت: فإن لم ألقك علىٰ الصراط؟

قال: **فاطلبني عند الميزان.**

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: **فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**»[(١)].

القول الثاني: أن الحوض قبل الصراط.

اختاره أبو عبد الله القرطبي[(٢)].

واحتجوا: بما جاء عن أبي هريرة أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض.**

فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ»[(٣)].

فالذي يمر علىٰ الصراط يكون قد نجا من النار فكيف يذادون عن الحوض، ويلقون في النار؟

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٢١) (ح٢٤٣٣)، وقال: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٧٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٠) (ح٦٥٨٥).

واحتجوا أيضًا: بما جاء عن أبي ذر، قال: قلت: «يا رسول الله، ما آنية الحوض.

قال: **والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلىٰ أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل**»(١).

فلو كان الحوض قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض، وهذا مخالف لهذا الحديث.

والصحيح: أن الحوض قبل الصراط؛ للأدلة المتقدمة.

والنظر أيضًا يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيردون الحوض(٢).

❍❍❍❍❍

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٨) (ح٢٣٠٠).
(٢) انظر: «التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٧٠٣).

المطلب الثامن:
الصراط

لغة: أصل الصاد في الصراط (السين)، قلبت مع الطاء صادًا؛ لقرب مخارجها[(١)].

والصراط يدور معناه في اللغة علىٰ الطريق الواضح.

فالصاد والراء والطاء وهو من باب الإبدال، وهو الطريق[(٢)].

شرعًا: هو الجسر المنصوب علىٰ متن جهنم[(٣)].

قال البخاري: «باب الصراط: جسر جهنم»[(٤)].

فلا طريق للجنة إلا الصراط:

وقد دل علىٰ ثبوت الصراط: الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٩٤).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٣٤٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٦)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٢٥).

(٤) «صحيح البخاري» (٨/ ١١٧).

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١].

اختلف أهل العلم في معنىٰ الورود في هذه الآية.

فقال بعضهم: الدخول، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، وعبد الله بن رواحة، وابن جريج، واختاره القرطبي[١].

وقال آخرون: المرور عليها، وهو قول قتادة، واختاره ابن جرير الطبري[٢].

والراجح: أنه المرور علىٰ الصراط[٣].

لحديث جابر قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبيﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار -إن شاء الله- من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**.

قالت: بلىٰ يا رسول الله؛ فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ [مريم:٧١].

---

(١) انظر: «جامع البيان للطبري» (٩/ ١٤٢)، و«التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة» (٢/ ٧٦٢).

(٢) انظر: «جامع البيان للطبري» (٩/ ١٤٤).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٧٩).

فقال النبي ﷺ: **قد قال الله ﷻ**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢][(١)].

وعن جابر أيضًا: «أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار.

فقال رسول الله ﷺ: **كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية**»[(٢)].

فقد نفىٰ النبي ﷺ عن أهل الشجرة وحاطب دخول النار، فدل ذلك علىٰ أنه لا يدخل النار من كتب الله له النجاة منها، فيكون معنىٰ الورود في الآية هو المرور علىٰ الصراط.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرَّجُل، ثم كمشيه**»[(٣)].

فسَمَّىٰ مرورهم علىٰ الصراط ورودًا.

ولأنه لا منافاة بين الدخول والمرور علىٰ الصراط؛ لأن الصراط جسر علىٰ متن جهنم، فمن مرَّ عليه صح أن يقال أنه دخل النار.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص١٠٩٩) (ح٢٤٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ص ١٠٩٩) (ح٢٤٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٣١٧) (ح٣١٥٩)، وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني.

قال ابن حجر: «ولا تنافي بينهما؛ لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنىٰ من دخلها»[(١)].

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة.

عن أبي هريرة: أن النبي قال: «...**فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**»[(٢)].

ثالثًا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: ... والصراط حق»[(٣)].

وقال ابن أبي زمنين: «وأهل السنة يؤمنون بالصراط، وأن الناس يمرون عليه يوم القيامة علىٰ قدر أعمالهم»[(٤)].

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٠) (ح٨٠٦).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).

(٤) «أصول السنة» (ص١٦٨).

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت.. والمقام الهائل من الصراط، والميزان»[١].

وقال أبو القاسم التيمي: «فصل في مذهب أهل السنة... ويؤمنون بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره...، والصراط علىٰ متن جهنم، ومرور الخلق كلهم عليه»[٢].

*** أقوال أئمة السلف في إثبات الصراط:**

قال ابن عيينة: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: ... والحوض»[٣].

وقال البربهاري: «والإيمان بالصراط علىٰ جهنم»[٤].

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن الصراط حق يجوزُهُ العباد بقدر أعمالهم»[٥].

وقال اللالكائي: «وجوب الإيمان بالجنة والنار، والبعث بعد الموت،

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٧٥).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣٤).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٧٥).

(٤) «شرح السنة» (ص٦٦).

(٥) «مقدمة ابن أبي زيد» لكتابه «الرسالة» (ص٥٩).

والميزان، والحساب، والصراط يوم القيامة»[1].

وقال: «سياق ما روي في أن الإيمان بالصراط واجب»[2].

○○○○○

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١٢٣٠).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١٢٤٩).

وقد أنكر الصراط بعض المعتزلة:

قال ابن تيمية في بيان مذهب المعتزلة في الميزان: «تأويل الميزان، والصراط، وعذاب القبر، والسمع والبصر، إنما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية»[1].

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وقد حكىٰ في الكتاب عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة علىٰ هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضىٰ إلىٰ الجنة، والأدلة الدالة علىٰ المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالىٰ النار.

وذلك مما لا وجه له؛ لأن فيه حملًا لكلام الله تعالىٰ علىٰ ما ليس يقتضيه ظاهره»[2].

وقال: «فصل: وقد اتصل بهذه الجملة الكلام في أحوال القيامة، وما يجري هناك من وضع الموازين، والمسألة، والمحاسبة، وإنطاق الجوارح، ونشر الصحف، وما جرىٰ هذا المجرىٰ، وجملة ذلك أن كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والإقرار به»[3].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٤٨).

(٢) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٨).

(٣) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٤-٧٣٥).

لكن هؤلاء المعتزلة الذين ادعوا إثبات الصراط لم يثبتوا الصراط الذي جاءت به النصوص الشرعية، فحقيقة قولهم إنه لا صراط.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده: الصراط، وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع علىٰ أهل الجنة، ويضيق علىٰ أهل النار إذا راموا المرور عليه، ... فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية، من أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار، فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف، حتىٰ يصح إيلام المؤمن، وتكليفه المرور علىٰ ما هذا سبيله في الدقة والحِدَّة»[1].

❍❍❍❍❍

(١) «شرح الأصول الخمسة» (ص٧٣٦).

مسائل متعلقة بالصراط

المسألة الأولى:
صفات الصراط

قد جاءت السنة النبوية الصحيحة بوصف الصراط بصفات متعددة، وهو من الغيب الذي لا مجال لمعرفته إلا عن طريق الوحي، ومن النصوص في ذلك:

عن أبي سعيد الخدري قال: «قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟

قال: **دحض مزلة[1]، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[2] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان.**

قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف[3].

(١) دحض هو بتنوين (دحض)، وداله مفتوحة، والحاء ساكنة، ومزلة بفتح الميم، وفي الزاي لغتان مشهورتان: الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنىٰ واحد، وهو: الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر، ومنه: دحضت الشمس؛ أي: مالت. انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٣/ ٢٩).

(٢) الخطاطيف جمع خطاف -بضم الخاء-: وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، وأما الحسك -فبفتح الحاء والسين المهملتين- وهو: شوك صلب من حديد. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٩)، و«شرح النووي علىٰ مسلم» (٣/ ٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٧) (ح١٨٣).

وعن حذيفة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار**[١]»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**وبه كلاليب مثل: شوك السعدان**»[٣].

فقد دلت الأدلة علىٰ الصفات الآتية:

أنه زلق، تزلق فيه الأقدام ولا تستقر.

في حافتي الصراط كلاليب وحسك.

أدق من الشعر، وأحد من السيف.

○○○○○

---

(١) **معناه أنهم ثلاثة أقسام:** قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا، وقسم يخدش، ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقىٰ فيسقط في جهنم، وأما مكدوس فهو بالسين المهملة بمعنىٰ كون الأشياء بعضها علىٰ بعض، ومنه: تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضًا. انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (٣/ ٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦) (ح١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٧) (ح٦٥٧٣).

المسألة الثانية:
مَن يمر على الصراط؟

إن أول من يجتاز الصراط أمة النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز**»(١).

ومرور الناس علىٰ الصراط يكون علىٰ قدر أعمالهم، فبحسب استقامة الإنسان واتباعه للنبي ﷺ في الدنيا تكون استقامته علىٰ الصراط في الآخرة، فمن ثبت علىٰ الصراط المعنوي الذي هو متابعة النبي ﷺ فيما جاء به، ثبت علىٰ الصراط الحسي، ومن أعرض عن الصراط المعنوي وزل عنه، زل عن الصراط الحسي، واختطفته الكلاليب، ولا يظلم ربك أحدًا.

قال ﷺ: «**وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق.**

قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٠) (ح٨٠٦).

قال: **ألم تروا إلىٰ البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشَدِّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم علىٰ الصراط يقول: رب سلم سلم، حتىٰ تعجز أعمال العباد، حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا.**

قال: **وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»**(١).

ويعطىٰ أهل الإيمان نورًا ثم يتبعونه.

قال جابر بن عبد الله، لما سئل عن الورود: «نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا، انظر -أي: ذلك فوق الناس؟- قال: فتُدعىٰ الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟

فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: حتىٰ ننظر إليك، فيتجلىٰ لهم يضحك.

قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطىٰ كل إنسان منهم -منافق، أو مؤمن- نورًا، ثم يتبعونه، وعلىٰ جسر جهنم كلاليب وحَسَك، تأخذ من شاء الله تعالىٰ، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦) (ح١٩٥).

السماء، ثم كذلك، ثم تَحِلُّ الشفاعة...»[١].

ومما ينبغي أن يعلم: أن المشركين لا يمرون علىٰ الصراط وإنما يتساقطون في النار قبل وضع الصراط[٢].

يدل علىٰ هذا: ما جاء عن أبي سعيد الخدري: أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: «يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ: **نعم.**

قال: **هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟**

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: **ما تضارون في رؤية الله -تبارك وتعالىٰ- يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتَّبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّر أهل الكتاب.**

فيُدعىٰ اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٧) (ح١٩١).

(٢) انظر: «التخويف من النار» ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٣٤٢).

فماذا تبغون؟

قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلىٰ النار كأنها سراب يَحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.

ثم يدعىٰ النصارىٰ، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟

فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا.

قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلىٰ جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار.

حتىٰ إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالىٰ من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها.

قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد.

قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم.

فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا -مرتين أو ثلاثًا- حتىٰ إن بعضهم ليكاد أن ينقلب.

فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها.

فيقولون: نعم.

فيُكشف عن ساق، فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر علىٰ قفاه.

ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا.

ثم يضرب الجسر علىٰ جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم...»[(١)].

قال ابن رجب تعليقًا علىٰ هذا الحديث: «فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوىٰ الله، كالمسيح وعزير من أهل الكتاب، فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والأشجار والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولًا، وقد دَلَّ القرآن علىٰ هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨]»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ص٩٤) (ح١٨٣).

(٢) «التخويف من النار» ضمن مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٣٤٤).

المسألة الثالثة:
نتيجة المرور على الصراط

إن أمر المرور علىٰ الصراط أمر عظيم، أشفق منه الأنبياء وأتباعهم؛ لتحققهم من المرور، وجهلهم بالنجاة.

ودعاء الأنبياء يومئذ: رب سلِّم سلِّم.

قال رسول الله ﷺ: «**فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**ونبيكم قائم علىٰ الصراط يقول: رب سلم سلم**»[(٢)].

فالناس أثناء مرورهم علىٰ الصراط ما بين ناجٍ، ومدفوع في نار جهنم.

والناجون فيه ما بين ناج مسلَّم، وناجٍ مخدوش.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٧) (ح٦٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦) (ح١٩٥).

والأدلة علىٰ النحو الآتي:

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو**»[١].

وعن حذيفة: أن النبي ﷺ قال: «**وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار**»[٢].

وعن أبي سعيد قال: «قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال ﷺ: **مَدحضة مزِلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مُفلطحة لها شوكة عَقيفة، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، وناجٍ مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتىٰ يمر آخرهم يُسحب سحبًا**»[٣].

قال ابن أبي زيد القيرواني: «وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم»[٤].

○○○○○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٠) (ح٨٠٦).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦) (ح١٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٩) (ح٧٤٣٩).
(٤) «مقدمة ابن أبي زيد» لكتابه «الرسالة» (ص٥٩).

المطلب التاسع: القنطرة

بعد مرور الناس علىٰ الصراط، يقف المؤمنون الناجون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض.

عن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدىٰ بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[(١)].

واختلف العلماء في القنطرة.

فقيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة.

وقيل: هي جسر مستقل بين الصراط والجنة.

قال ابن حجر: «الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١١) (ح٦٥٣٥).

أن تكون من غيره بين الصراط والجنة»[١].

والراجح: أنه جسر مستقل؛ لأن الناجي يمر الصراط كله، ويجتازه، كما دلت علىٰ ذلك الأدلة.

عن أبي هريرة: أن النبيﷺ قال: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز**»[٢].

وقال جابر بن عبد الله، لما سئل عن الورود: «... ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر ...»[٣].

وأيضًا لظاهر حديث القنطرة؛ فإن فيه أن المؤمنين يخلصون من الصراط، وينجون.

في هذه القنطرة يحصل القصاص، فيذهب ما في القلوب من الغل والحسد والحقد، فإذا نقوا دخلوا الجنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

قال البربهاري: «والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم، بني

---

(١) «فتح الباري» (٥/ ٩٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

آدم، والسباع، والهوام، حتىٰ للذرة من الذرة، حتىٰ يأخذ الله لبعضهم من بعض، لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض»[١].

وقال ابن تيمية: «فإذا عبرواعليه وقفوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[٢].

❍❍❍❍❍

(١) «شرح السنة» (ص٧٨).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٤٧).

المطلب العاشر: الجنة والنار

الجنة لغة: يدور معناها في اللغة علىٰ التستر.

فالجيم والنون أصل واحد، وهو الستر، والتستر(١).

شرعًا: هي الدار التي أعدها الله لعباده المؤمنين.

النار لغة: النون والواو والراء أصل صحيح يدل علىٰ إضاءة، واضطراب، وقلة ثبات(٢).

شرعًا: هي الدار التي أعدها الله للعاصين.

وقد دل علىٰ ثبوت الجنة والنار: الكتاب والسنة والإجماع.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٤٢٤).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٣٦٨).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

ثانيًا: من السنة الصحيحة.

عن أنس بن مالك ﵁، يقول: مُرَّ بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «**وجبت!** ثم مروا بأخرىٰ فأثنوا عليها شرًّا.

فقال: **وجبت!** فقال عمر بن الخطاب ﵁: ما وجبت؟

قال: **هذا أثنيتم عليه خيرًا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض**»(١).

ثالثًا: الإجماع.

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: .. والجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٧) (ح١٣٦٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).

* **أقوال أئمة السلف في إثبات الجنة والنار:**

قال البربهاري: «والإيمان بأن الجنة حق، والنار حق»[١].

وعقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان.

أما المسألة الأولىٰ: خلق الجنة والنار ووجودهما الآن: فالقول بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن متفق عليه بين أئمة السلف.

وقد دلت الأدلة الشرعية علىٰ ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

وإعداد الشيء يدل علىٰ وجوده والانتهاء منه.

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ صلىٰ صلاة الكسوف، فقام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع، ثم سجد، فأطال السجود، ثم رفع، ثم سجد، فأطال السجود، ثم قام، فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع فأطال القيام ثم ركع، فأطال الركوع، ثم رفع، فسجد، فأطال السجود، ثم رفع، ثم

(١) «شرح السنة» (ص٦٦).

سجد، فأطال السجود، ثم انصرف.

فقال: **قد دنت مني الجنة، حتىٰ لو اجترأت عليها، لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار ...**»(١).

وعن أنس بن مالك ﵁ أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلىٰ مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا**»(٢).

وقد أجمع علىٰ هذه المسألة أهل السنة والجماعة:

قال أبو عثمان الصابوني: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان»(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «فاتفق أهل السنة علىٰ أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن»(٤).

وقررها أئمة السلف:

قال الإمام أحمد: «والجنة والنار مخلوقتان: قد خلقتا.. فمن زعم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٩) (ح٧٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٨) (ح١٣٧٤).

(٣) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٨١).

(٤) «شرح الطحاوية» (٢/ ٦١٤).

أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث رسول الله، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار»[(١)].

خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الجهمية والمعتزلة، فأنكروا وجودهما الآن، وزعموا أن الله ينشئهما يوم القيامة.

ومن أوائل من قال بهذه الشبهة أحد شيوخ المعتزلة، وهو: هشام بن عمرو الفوطي.

قال الشهرستاني: «ومن بدعه: أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن؛ إذ لا فائدة في وجودهما وهما جميعًا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما.

وبقيت هذه المسألة منه اعتقادًا للمعتزلة»[(٢)].

وشبهتهم: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب أن تفنىٰ يوم القيامة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

والرد عليهم: أنهم أُتوا من سوء فهمهم؛ وذلك أن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾؛ أي: مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء[(٣)].

وأما المسألة الثانية: بقاء الجنة والنار ودوامهما:

فالقول ببقاء الجنة ودوامها متفق عليه بين أهل السنة والجماعة.

---

(١) «أصول السنة» في ضمن كتاب «عقائد السلف» (ص٣٥).

(٢) «الملل والنحل» (١/ ٧١).

(٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢٠).

وقد دلت الأدلة الشرعية علىٰ ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ [النساء:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التوبة:٢١-٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ [هود:١٠٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٧-٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴾ [الواقعة:٣٣].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟**

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل

الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(١).

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبيﷺ قال: «**ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوْا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»**(٢).

وقد أجمع علىٰ هذه المسألة أهل السنة والجماعة:

قال ابن أبي زمنين: «وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوها»(٣).

وقال أبو عثمان الصابوني: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا»(٤).

وقال ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنىٰ بالكلية كالجنة»(٥).

وخالف أهل السنة في مسألة الجنة وبقائها: الجهمية، فقالوا بفنائها مع النار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٩٣) (ح٤٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٢) (ح٢٨٣٧).

(٣) «أصول السنة» (ص١٣٩).

(٤) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٨١).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٣٠٧).

وشبهتهم: امتناع وجود ما لا يتناهىٰ من الحوادث؛ بناء علىٰ أصلهم الفاسد: (دليل حدوث الأجسام والأعراض).

فدوام الفعل عندهم علىٰ الرب في المستقبل ممتنع كما هو ممتنع عندهم عليه في الماضي.

كما أن أبا الهذيل العلاف المعتزلي وافق الجهم علىٰ هذا الأصل، لكن قال بفناء الحركات، فناء حركات أهل الجنة والنار(١).

وأما القول ببقاء النار ودوامها فمتفق عليه أيضًا بين أهل السنة والجماعة.

وقد دلت الأدلة الشرعية علىٰ ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨-١٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢١).

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟**

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟

فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»(١).

وقد أجمع علىٰ هذه المسألة أئمة السلف الصالح:

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألتُ أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهلِ السنة في أصولِ الدين وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركْنا العلماء في جميع الأمصارِ حجازًا، وعراقًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم: .. والجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا»(٢).

وقال ابن أبي زمنين: «وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ١٩٧-١٩٨).

ولا يموت أهلوها»[(١)].

قال أبو عثمان الصابوني: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون أبدًا»[(٢)].

وقال ابن عبد البر: «قال أهل السنة: إن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنىٰ بالكلية كالجنة، والنار»[(٤)].

وخالف أهل السنة في مسألة دوام النار وبقائها:

- **الاتحادية؛ زعموا:** أن أهل النار يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم إلىٰ طبيعة نارية يتلذذون بها.

- **أبو الهذيل المعتزلي زعم:** تفنىٰ حركات أهل النار ويصيرون جمادًا[(٥)].

---

(١) «أصول السنة» (ص١٣٩).
(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٨١).
(٣) «التمهيد» (٥/ ١٠).
(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٣٠٧).
(٥) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢٤).

وقد ذهب بعضٌ من أهل السنة إلىٰ القول ببقاء الجنة وفناء النار.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف»(١).

وهذا القول نُسب إلىٰ جماعة من السلف لكن لم يصحَّ عن أحد منهم.

فما روي عن الصحابة في ذلك لم يصح منه شيء، ومن ذلك:

ما رُوي عن عمر أنه قال: «لَو لبث أهل النَّار فِي النَّار كَقدْر رمل عالج لَكَانَ لَهُم يَوْم علىٰ ذَلِك يخرجُون فِيهِ»(٢).

ooooo

(١) «شرح الطحاوية» (٢/ ٦٢١).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٧٨)، وقال: «وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر رضي الله عنه».

والحسن لم يسمع من عمر، فيكون الأثر منقطعًا، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٧٣).

وانظر بقية الآثار في رسالة «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للصنعاني، وأيضًا كتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشيخ الشنقيطي، فقد رَدَّ علىٰ من زعم أن النار تفنىٰ.

مسائل متعلقة بالجنة والنار

المسألة الأولى:
صفات الجنة، وما أعده الله فيها من نعيم

أسماء الجنة:

للجنة دار النعيم أسماء، ومن تلك الأسماء:

دار السلام؛ قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧].

الفردوس؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

الحسنى؛ قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠].

طوبى؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد:٢٩].

دار المقامة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٥].

وهي ليست جنة واحدة: فما أعده الله لأوليائه ليس جنة واحدة، بل

جنانًا؛ عن أنس ﵁، قال: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفتَ منزلة حارثة مني، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرىٰ ترىٰ ما أصنع؟

فقال ﷺ: **ويحك، أوَهبلت، أوَجَنَّة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه لفي جنة الفردوس**»(١).

أعلاها الفردوس، وهي أوسط الجنة:

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلىٰ الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة**»(٢).

وعرض الجنة كعرض السماء والأرض؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

وهي واسعة؛ عن أبي هريرة ﵁، يبلغ به النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٤) (ح٦٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٥) (ح٧٤٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٦) (ح٤٨٨١).

فإن قال قائل: أين النار؟

يجيب عن هذا الحبيب المصطفىٰ ﷺ؛ فعن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أرأيت جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟

فقال النبي ﷺ: **أرأيت هذا الليل الذي قد كان ألبس عليك كل شيء، ثم ليس شيء، أين جعل؟**

قال: الله أعلم، قال: **فإن الله يفعل ما يشاء**»[(١)].

والجنة درجات:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام**»[(٢)].

وهي منازل أرفع من منازل.

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم.**

قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٧٤) (ح٢٥٢٩) وقال: «حديث حسن صحيح».

قال: **بلىٰ، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»**[١].

وعن المغيرة: أن النبي ﷺ قال: «**قال موسىٰ** عليه السلام: **رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر علىٰ قلب بشر...»**[٢].

أهلها لهم غرف فيها؛ قال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠].

عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفًا ترىٰ ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها.**

فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟

قال: **هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلىٰ لله بالليل والناس نيام»**[٣].

وللجنة أبواب ثمانية؛ عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٧) (ح٢٨٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٦) (ح١٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٧٣) (ح٢٥٢٧)، وقال: «حديث غريب»، وحسنه الألباني.

وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»(١).

وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة.**

فقال أبو بكر ﵁: بأبي أنت وأمي -يا رسول الله- ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعىٰ أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: **نعم وأرجو أن تكون منهم**»(٢).

الباب من أبوابها جاء وصفه في السنة المطهرة؛ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير -أو: كما بين مكة وبصرىٰ-»(٣).

آنيتها من ذهب وفضة؛ قال تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ [الزخرف:٧١].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٧) (ح٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) (ح١٨٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٤) (ح٤٧١٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسان:١٥].

وعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: **«جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبر علىٰ وجهه في جنة عدن»**(١).

وترابها المسك؛ قال رسول الله ﷺ في حديث المعراج: **«ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»**(٢).

طعام أهل الجنة:

وأما طعامهم فيها فكل ما تشتهيه أنفسهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١].

وأعظم نعيم في الجنة: رؤية الله سبحانه ورضوانه:

عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله -تبارك وتعالىٰ-: تريدون شيئًا أزيدكم؟**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٥) (ح٤٨٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٧٨) (ح٣٤٩).

فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟

قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم ﷻ»(١).

عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: «صلىٰ بنا عمار بن ياسر صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما علىٰ ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي غير أنه كنىٰ عن نفسه، فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: **وأسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، والشوق إلىٰ لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟**

فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟

فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٣) (ح١٨١).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٣/ ٥٤) (ح١٣٠٥).

فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟

فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

أعد الله لأهل الجنة: حليًّا، ولباسًا، وفرشًا ، وأكوابًا، وأباريق، ونمارق، وغير ذلك كثير مما لا يخطر على البال.

وقد جاء وصف ذلك النعيم في الكتاب والسنة:

أما الحلي، واللباس؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الدخان:٥٣].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه»**(٢).

وأما الفرش، والأكواب، والأباريق؛ فقال تعالىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن:٥٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٦) (ح٢٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨١) (ح٢٨٣٦).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٤-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧-١٨].

ومن نعيم أهل الجنة: الحور العين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرىٰ مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا**»(١).

وصف الله الحور العين بعدة صفات، منها:

الصفة الأولىٰ: قاصرات الطرف، لا ينظرون إلىٰ غير أزواجهم؛ قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].

الصفة الثانية: مقصورات في الخيام، محبوسات في الخيام لا يخرجن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٨) (ح٣٢٤٥).

منها؛ قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢].

الصفة الثالثة: خيرات حسان، فهن خيرات الأخلاق، حسان الوجوه؛ قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠].

الصفة الرابعة: متماثلات في السن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص:٥٢].

الصفة الخامسة: عَروب متحببة إلىٰ أزواجهن؛ قال تعالىٰ: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧].

الصفة السادسة: أنها بكر؛ قال تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٦].

الصفة السابعة: مطهرة من كل أذًىٰ، مما يكون في نساء أهل الدنيا، من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط وما أشبه ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

وأختم بذكر نعيم آخر من يدخل الجنة من أهل الجنة، وهو أدنىٰ أهل الجنة منزلة:

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا الجنة، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله -تبارك وتعالىٰ- له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأىٰ، فيرجع.**

فيقول: يا رب، وجدتها ملأىٰ.

فيقول الله -تبارك وتعالىٰ- له: اذهب فادخل الجنة.

قال: فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأىٰ، فيرجع.

فيقول: يا رب، وجدتها ملأىٰ.

فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟

قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه.

قال: **فكان يقال: ذاك أدنىٰ أهل الجنة منزلة»**[1].

والكلام في صفة الجنة، وما أعده الله فيها من نعيم يطول ويطول؛ فإنها دار النعيم التي أعدها الله لأوليائه، ولولا مخافة الإطالة والإسهاب لتوسعت في هذا الباب؛ ترغيبًا لأهل الإيمان، ولكن حسبي ما ذكرت.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم لذة النظر إلىٰ وجهه سبحانه، وأن يدخلنا جنته، وأن يحل علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا.

❍❍❍❍❍

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٣) (ح١٨٦).

المسألة الثانية:
هل الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد؟

اختلف الناس في هذه المسألة علىٰ قولين:

الأول: أنها جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أعدها الله لهما، وجعلها دار ابتلاء، وهؤلاء اختلفوا هل هي في السماء أو في الأرض.

والصحيح: الأول لأمور:

١- عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله -تبارك وتعالىٰ- الناس فيقوم المؤمنون، حتىٰ تزلف لهم الجنة فيأتون آدم؛ فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم...**»[(١)].

وهذا يدل علىٰ أن الجنة هي بعينها التي أخرج منها.

٢- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسىٰ فقال له موسىٰ: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح١٩٥).

فقال له آدم: أنت موسىٰ الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني علىٰ أمر قُدِّرَ عليَّ قبل أن أخلق!

فقال رسول الله ﷺ: **فحج آدم موسىٰ** -مرتين-»[(١)].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]. وهذا يعني نزولًا من علو إلىٰ سفل.

٤- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا**. ثم قال: **اذهب فسَلِّم علىٰ أولئك من الملائكة؛ فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله؛ فزادوه ورحمة الله؛ فكل من يدخل الجنة علىٰ صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتىٰ الآن**»[(٢)].

الله أمر آدم أن يسلِّم علىٰ الملائكة، ثم أخبر عن صورة من يدخل الجنة، فدل ذلك علىٰ أن الجنة هي جنة الخلد.

فإن قيل: أليست الجنة إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة؟

والجواب: هذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول الاستقرار.

وأما الدخول العارض فقد يقع قبل يوم القيامة، كما دخل النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٣٢٦).

الجنة ليلة الإسراء، وأرواح المؤمنين في الجنة.

فإن قيل: آدم قد كُلِّف فيها، والجنة ليست بدار تكليف.

والجواب: لا تكون دار تكليف يوم القيامة، أما قبل ذلك فليس هناك ما يمنع[1].

❍❍❍❍❍

(١) انظر: «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٤٩-٦٩).

المسألة الثالثة:
صفات النار، وما أعده الله فيها من عذاب

للنار دار العذاب أسماء، ومن تلك الأسماء:

جهنم؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٢].

السعير؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

الهاوية؛ قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٩].

سقر؛ قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢].

الجحيم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة:١٠].

الحطمة؛ قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة:٤-٦].

يقوم على النار ملائكة غلاظ شداد، هم خزنة جهنم، عددهم تسعة عشر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠].

وهي واسعة، بعيدة القعر، عظيمة الخلقة.

عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال جهنم يلقىٰ فيها وتقول: هل من مزيد، حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك**»(١).

عن أبي هريرة، قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: **تدرون ما هذا؟**

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: **هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قعرها**»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٨) (ح٢٨٤٨).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٤) (ح٢٨٤٤).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٤) (ح٢٨٤٢).

والنار دركات:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

لها أبواب سبعة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر:٤٣-٤٤].

وقودها الناس والحجارة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

حرُّها شديد، وماؤها حميم، وظلها يحموم لا يقي اللهب.

قال تعالىٰ: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٢-٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات:٣٠-٣١].

نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم؛ عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم.**

قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله.

قال: **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا، كلها مثل حرها**»[1].

وصفها سبحانه بقوله: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

طعامهم فيها الزقوم والضريع.

قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦-٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦].

يغصون به؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل:١٢-١٣].

وشرابهم الحميم، والغساق، وماء صديد.

قال تعالىٰ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٦-١٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٤) (ح٢٨٤٣).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧].

أما لباسهم؛ قال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم:٤٩-٥٠].

هذا شيء من وصف النار التي أعدها الله للعاصين؛ حتىٰ يخاف أهل الإيمان، ويرتدع أهل العصيان.

وأختم بأهون أهل النار عذابًا؛ فعن النعمان: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**»(١).

نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من النار.

ooooo

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٤٠٠) (ح٦١٩٣).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده.

أما بعد:

فعند موت الإنسان تفارق الروح الجسد، وتتلقاها إما ملائكة الرحمة، وإما ملائكة العذاب، فيصعدون بها.

ثم تعود الروح إلىٰ البدن.

وعند ذلك يُفتن الميت في قبره، فيقوم بسؤاله ملكان، يسألناه عن ربه وعن دينه وعن نبيه.

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبي.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

ثم بعد هذا السؤال إما نعيم وإما عذاب إلىٰ قيام الساعة، فيكون ذلك علىٰ الروح والجسد معًا، وقد يكون علىٰ الروح منفردة عن البدن.

فإذا قامت القيامة نفخ في الصور فقام الناس من قبورهم لرب العالمين، فيعيد الله الأجساد بعد أن تبلىٰ كلها إلا عجب الذنب، فينبتون كما ينبت

البقل بعد أن ينزل الله عليهم من السماء ماء.

ويحشر الناس حفاة عراة غرلًا في أرض غير أرض الدنيا، بيضاء إلىٰ حمرة، ليس بها علامة سكنىٰ، أو بناء، يجعلها الله كالرغيف الكبير يأكل منها المؤمنون.

فيأخذ الناس من كرب ذلك اليوم وشدته، وتدنو من رءوسهم الشمس، فيشتد عليهم حرها، ويشق عليهم دنوها.

فيفزعون يتلمسون الشفاعة من الأنبياء لفصل القضاء، فيشفع نبينا ﷺ وهو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء.

ثم تنشر الصحف التي كتبت فيها أعمال بني آدم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، فالمؤمنون يأخذون صحائف أعمالهم بأيمانهم، وأما الكفار فيأخذونها بشمائلهم من وراء ظهورهم.

بعد ذلك يحاسب الله الخلائق، فأهل الإيمان يدنيهم الرب تعالىٰ، ويضع عليهم كنفه ويسترهم، حتىٰ إذا قررهم بذنوبهم، ورأوا أنهم قد هلكوا، يقول الرب سبحانه: سترتها عليكم في الدنيا، وأنا أغفرها لكم اليوم.

وأما الكفار والمنافقون فيفضحهم علىٰ رءوس الخلائق.

وتنصب الموازين، فتوزن أعمال العباد حسناتها وسيئاتها، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ

مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

وفي الموقف حوض النبي ﷺ من شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا، وهو موجود الآن، يذاد عنه أقوام وهم الذين ارتدوا وأحدثوا في دينهم.

وبعد الورود علىٰ الحوض يكون نصب الصراط، والمرور عليه، والصراط جسر منصوب علىٰ متن جهنم.

ومرور الناس عليه يكون علىٰ قدر أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر الريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل والركاب، تجري بهم أعمالهم، حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا.

وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار.

فإذا مروا علىٰ الصراط وقفوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا نقوا دخلوا الجنة.

والجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

* إثبات عذاب القبر، أبو بكر البيهقي، تحقيق شرف محمود، دار الفرقان عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

* الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، من كتب الأشاعرة، تحقيق محمد يوسف موسىٰ وعلىٰ عبد الحميد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ.

* الاستذكار، أبو عمر ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢١هـ.

* أصول السنة، ابن أبي زمنين، تحقيق عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ.

* الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، حققه أحمد عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

* الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧هـ.

* تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الأصفر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

* التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق الصادق إبراهيم، مكتبة دار المنهج، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ.

* تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦هـ.

* تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ١٤١٧ هـ.

* تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

* تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جريرالطبري، حققه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠ هـ.

* تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة -

محمد بن مصطفىٰ الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة ، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ

* تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

* تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب: ١٣٨٧ هـ.

* جامع الترمذي، محمد بن عيسىٰ الترمذي، علق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ.

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي الألمعي ود. عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

* الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم التيمي، تحقيق: محمد بن ربيع

ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

* درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

* رسالة إلىٰ أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

* الروح، ابن القيم، تحقيق يوسف بديوي، دار ابن كثير، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ.

* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

* شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار المعتزلي، من كتب المعتزلة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.

* شرح السنة، الحسن البربهاري، تحقيق خالد الردادي، دار السلف، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

* شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ.

* شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم

الطوفي الصرصري، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ، ١٤٠٧ هـ.

* الشريعة، أبو بكر الآجري، تحقيق عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

* صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

* صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* عقائد أئمة السلف، اعتنىٰ بها فواز أحمد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.

* الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

* كتاب التوحيد، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق سمير الزهيري، دار المغني، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري ، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ.

* مذكرة الشيخ صالح سندي في اليوم الآخر.

* مجموع الفتاوىٰ، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وساعده محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤١٦هـ.

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢ هـ.

* محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين، الرازي، تحقيق حسين آتاي، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ.

* مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

OOOOO

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

المبحث الأول: معنىٰ اليوم الآخر ١٣

المبحث الثاني: منزلة الإيمان باليوم الآخر من الإيمان ١٥

المبحث الثالث: كيفية الإيمان باليوم الآخر ١٩

المبحث الرابع: الحياة البرزخية ٢٣

المطلب الأول: فتنة القبر ٢٦

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ٢٦

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ٢٧

ثالثًا: الإجماع ٣٠

أقوال أئمة السلف في إثبات فتنة القبر ٣١

مسائل متعلقة بفتنة القبر: ٣٥

المسألة الأولىٰ: من يُستثنىٰ من الفتنة؟ ٣٧

أولًا: المرابط ٣٧

ثانيًا: الشهيد ٣٨

ثالثًا: من مات ليلة الجمعة أو نهارها ٣٩

اختلف الناس في جماعة، هل يفتنون في قبورهم أو لا؟ ٣٩

١- النبي. ٣٩

٢- الصِّدِّيق. ٤٠

٣- غير المكلف. ٤٠

المسألة الثانية: هل الكافر يفتتن في قبره؟ ٤٣

المسألة الثالثة: هل فتنة القبر خاصة بهذه الأمة أو هي عامة في الأمم كلها؟ ٤٧

المسألة الرابعة: عودة الروح إلىٰ البدن وقت السؤال ٥٢

* **مسألة**: هل أن الأرواح متفاوتة في البرزخ من جهة استقرارها؟ ٥٩

المطلب الثاني: نعيم القبر وعذابه ٦٣

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ٦٤

ثانيًا: الأدلة من السنة ٦٩

ثالثا: الإجماع ٧٤

* أقوال أئمة السلف في إثبات نعيم القبر وعذابه ٧٥
* مذاهب المخالفين لأهل السنة في عذاب القبر ٧٩
مسائل متعلقة بنعيم القبر وعذابه: ٨٥
المسألة الأولىٰ: ما الحكمة من عدم إطْلاَع الناس علىٰ عذاب القبر.... ٨٧
المسألة الثانية: هل يتعلق نعيم القبر وعذابه بالروح والجسد معًا،
أو لا؟ ٨٩
المسألة الثالثة: هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟ ٩٤
المسألة الرابعة: أسباب عذاب القبر ٩٧
المسألة الخامسة: الأسباب المنجية من عذاب القبر ١٠٢
المطلب الثالث: النفخ في الصور..١٠٥
أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٠٧
ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٠٧
مسائل متعلقة بالنفخ في الصور:..١٠٩
المسألة الأولىٰ: من هو النافخ في الصور؟ ١١١
المسألة الثانية: عدد النفخات في الصور ١١٣

المسألة الثالثة: ما بين النفختين من الوقت ١١٨

المسألة الرابعة: من المستثنىٰ من الصعق؟ ١٢٠

المبحث الخامس: الحياة الآخرة ١٢٢

المطلب الأول: البعث ١٢٤

دلَّ علىٰ وقوع البعث، والإيمان به: الكتاب والسنة والإجماع. ١٢٥

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٢٥

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٢٧

ثالثًا: الإجماع ١٢٨

* أقوال أئمة السلف في إثبات البعث ١٢٨

مسائل متعلقة بالبعث: ١٢٩

المسألة الأولىٰ: صفة البعث ١٣١

المسألة الثانية: حكم إنكار البعث ١٣٣

المسألة الثالثة: المخالفون لأهل السنة في البعث ١٣٦

هل المعاد علىٰ الروح والبدن معًا أو لا؟ ١٣٦

مبدأ المعاد ١٣٧

المطلب الثاني: الحشر ١٣٩

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٣٩

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٤٠

مسائل متعلقة بالحشر: ١٤٣

المسألة الأولىٰ: أرض المحشر ١٤٥

المسألة الثانية: صفة أرض المحشر ١٤٩

المسألة الثالثة: صفة محشر الخلق في هذه الأرض ١٥٢

المطلب الثالث: الشفاعة ١٥٨

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٥٩

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٥٩

ثالثًا: الإجماع ١٥٩

* أقوال أئمة السلف في إثبات الشفاعة ١٦٠

الذين ثبتت شفاعتهم غير النبي ﷺ: ١٦٩

١ - الملائكة ١٦٩

٢- الأنبياء ١٧٠

٣- المؤمنون ١٧٠

٤ - الشهداء ١٧٠

٥- أولاد المؤمنين ١٧١

المطلب الرابع: نشر الصحف ١٧٤

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٧٤

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٧٥

ثالثًا: الإجماع ١٧٥

* أقوال أئمة السلف في إثبات نشر الصحف ١٧٥

المطلب الخامس: الحساب ١٧٨

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٧٨

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ١٧٩

ثالثًا: الإجماع ١٧٩

* أقوال أئمة السلف في إثبات الحساب ١٨٠

أنواع الحساب ١٨٢

أول الأمم محاسبة يوم القيامة: أمة النبي ﷺ ١٨٥

مسائل متعلقة بالحساب: ١٨٧

المسألة الأولىٰ: هل الكفار يحاسبون؟ ١٨٩

المسألة الثانية: أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال ١٩٣

المطلب السادس: وزن الأعمال ١٩٥

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ١٩٥

ثانيًا: من السنة الصحيحة ١٩٦

ثالثًا: الإجماع ١٩٦

* أقوال أئمة السلف في إثبات الميزان ١٩٧

* وقد أنكر الميزان بعض المعتزلة، وأوَّلُوه بالعدل ١٩٩

مسائل متعلقة بوزن الأعمال: ٢٠١

المسألة الأولىٰ: صفات الميزان ٢٠٣

المسألة الثانية: ما الذي يوزن في الميزان؟ ٢٠٥

المسألة الثالثة: هل الميزان واحد أو متعدد؟ ٢١٠

المسألة الرابعة: وزن الكفار ٢١٢

المطلب السابع: الحوض ٢١٤

أولًا: الأدلة من السنة الصحيحة ٢١٤

ثانيا: الإجماع ٢١٥

* أقوال أئمة السلف في إثبات الحوض ٢١٦

الكوثر نهر يسيل في الحوض ويمده ٢١٨

مسائل متعلقة بالحوض: ٢٢١

المسألة الأولى: صفات الحوض ٢٢٣

المسألة الثانية: من يذاد من الحوض ٢٢٥

المسألة الثالثة: موضع الحوض ٢٢٨

هل الحوض قبل الصراط أو بعده؟ ٢٢٨

المطلب الثامن: الصراط ٢٣١

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ٢٣٢

ثانيًا: الأدلة من السنة الصحيحة ٢٣٤

ثالثًا: الإجماع ٢٣٤

* أقوال أئمة السلف في إثبات الصراط ٢٣٥

أنكر الصراط بعض المعتزلة ٢٣٧

مسائل متعلقة بالصراط: ٢٣٩

المسألة الأولى: صفات الصراط ٢٤١

المسألة الثانية: مَن يمر علىٰ الصراط؟ ٢٤٣

المسألة الثالثة: نتيجة المرور علىٰ الصراط ٢٤٨

المطلب التاسع: القنطرة ٢٥٠

المطلب العاشر: الجنة والنار ٢٥٣

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم ٢٥٣

ثانيًا: من السنة الصحيحة ٢٥٤

ثالثًا: الإجماع ٢٥٤

* أقوال أئمة السلف في إثبات الجنة والنار ٢٥٥

القول ببقاء النار ودوامها فمتفق عليه بين أهل السنة والجماعة ٢٦٠

مسائل متعلقة بالجنة والنار: ٢٦٥

المسألة الأولىٰ: صفات الجنة، وما أعده الله فيها من نعيم ٢٦٧

أسماء الجنة ٢٦٧

أعلاها الفردوس، وهي أوسط الجنة ٢٦٨

أين النار؟ ٢٦٩

الجنة درجات ٢٦٩

طعام أهل الجنة ٢٧٢

أعظم نعيم في الجنة: رؤية الله سبحانه ورضوانه ٢٧٢

وصف الله الحور العين بعدة صفات ٢٧٥

أدنىٰ أهل الجنة منزلة ٢٧٦

المسألة الثانية: هل الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد؟ ٢٧٨

المسألة الثالثة: صفات النار، وما أعده الله فيها من عذاب ٢٨١

أسماء النار ٢٨١

النار دركات ٢٨٣

الخاتمة ٢٨٦

ثبت المصادر والمراجع ٢٨٩

فهرس الموضوعات ٢٩٥